

القادياني والقاديانية

دراسة وتحليل

ابوآن علي حسني الندوي

وكيل ندوة العلماء بالهند
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

مطبعة دق، بالهند

١٣٧٨ - ١٩٥٨

مكتبة دار الفکر

مكان نمبر 5 گلی نمبر 4، اکرم پارک غالب مارکیٹ گلبرگ III لاہور

فون: 5712905



كلمة بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين
وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان إلى
يوم الدين .

أما بعد فقد ظهرت الديانة القاديانية في آخر القرن التاسع
عشر المسيحي في الهند بعد استقرار الحكم الانجليزي فيها وهي
ثورة على النبوة المحمدية - على صاحبها الصلاة والسلام - وعلى
الاسلام ومؤامرة دينية وسياسية إن وجد لها نظير في الخطر
والضرر على الاسلام ففي الحركة الاسماعيلية الباطنية التي تولى
كبرها عبيدالله بن ميمون القداح في القرن الثالث الهجري .
وأشك أنها بلغت مبلغ الأولى - القاديانية - في إيصال الفساد
ودقة المؤامرة ومعاداة الاسلام .

وتبنتها الحكومة الانجليزية واحتضنتها وساعدتها العوامل

طبعه خليل شرف الدين بمطبعة «ق»
ص . ب . رقم ۳۰۷۷ بمبای ۳ (الهند)

الاجتماعية والسياسية والفكرية الكثيرة التي توفرت في عصر ظهورها فانتشرت على بعدها من الاسلام وأصبحت طائفة كبيرة يحسب لها الحساب وأصبحت «قاديان» مركز دعوة ودعاية وسياسة يدين لها ويؤم شطرها بعض كبار المثقفين - الثقافة العصرية - رجال الدولة . ولا يرى لها نشاط إلا في المناظرات وإثارة الشكوك والشبهات في المسلمين وتأييد السياسة الانجليزية ونشر الدعاية لعقيدتها الخاصة في الهند وخارج الهند حتى انقسمت الهند عام ١٩٤٧ وتكونت باكستان وفرضت الحكومة الانجليزية الراحلة عن الهند ظفر الله خان على باكستان كوزير الخارجية وانتهز الأخير فرصة سلطته بكل حزم وعزم فشحن الوزارة الخارجية والمفاوضات في عواصم العالم بالقاديانيين ودسهم في مصالح الحكومة الأخرى وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين وتسربوا في الجيوش الباكستانية واحتلوا مناصب خطيرة في الجيش وفي البوليس وفي مصلحة الطيران .

وقد كونوا إمارة حرة في بنجاب تسمى «الربوة»^١ وهي

١ - سموها الربوة ليطلقوا عليها قوله تعالى «وآتيناهم الى ربوة ذات قرار ومعين» وهذا هو المطلق القادياني المعروف .

مستعمرة قاديانية لا يوظف فيها إلا القادياني، ويمكن أن تشبه الربوة في باكستان بإسرائيل في فلسطين وكلاهما جائم على صدر المسلمين وقائم منهم بالمرصاد.

وبدأت القاديانية توجه دعوتها ورسالتها إلى البلاد العربية والاسلامية وبدأت تظهر في العراق وسورية وتنتشر في اندونيسيا^١. ومن أعز أمانها وأحلامها ومن أعظم مطامعها أن تنتشر في جزيرة العرب — مهد الاسلام وعاصمة محمد عليه الصلاة والسلام — وأن يكون لها مركز قوى في مكة أو المدينة شرفها الله وأعاذها من كل فتنة وإلحاد. وبدأت تعنى بالجهات القاصية في قارة أفريقية والدول الاسلامية الناشئة. ولا تضيع فرصة لنشر دعايتها وتوجيه دعوتها في المؤتمرات السياسية والندوات العلمية العالمية والمؤسسات الدينية الكبيرة.

لقد فرغ علماء المسلمين ورجال الدين لهذه الفتنة من أول يومها. وكان أول من فرغ لها علماء الهند بطبيعة الحال لحاربوها بأقلامهم وألسنتهم وعلمهم، وذلك أقصى ما كان يمكن في عهد
١ — يقال إن عدد من يدين بها كبير ومنتشر في اندونيسيا ومنهم بعض كبار المثقفين ورجال السياسة.

الدولة الانجليزية. وكان في مقدمة هؤلاء المجاهدين الشيخ محمد حسين البتالوي، ومولانا محمد علي المونگيرى مؤسس ندوة العلماء، والشيخ ثناء الله الامرترى والعلامة الكبير الشيخ أنور شاه الكشميرى الذى أفلقته هذه الفتنة وشغلت خاطره وتفكيره واستولت على مشاعره. وكان من أنشط الجمعيات والجماعات فى محاربة هذه الفتنة الباغية جمعية الأحرار وعلى رأسها وفى مقدمتها الخطيب المصنع السيد عطاء الله البخارى الامرترى. ومن هؤلاء الموقعين الدكتور محمد إقبال الذى كان من كبار المثقفين المتورين الذين أنجبههم العالم الاسلامى فى العصر الأخير ومن كبار الدعاة إلى الاتحاد الاسلامى المتمسكين لمبدأ التسامح، ومع ذلك كان أول من دعا إلى فصل القاديانيين من المسلمين وإعتبارهم أقلية غير مسلمة.

وأطبق العلماء على تضليل القاديانيين وتكفيرهم وأصبح ذلك كلمة إجماع لم يشذ منها إلا شاذ. وأفتوا وألفوا فى ذلك مولفات كثيرة. وأصدرت مراكز الفتوى فتاوى صريحة بكفرهم وارتدادهم عن دين الاسلام. وأصدرت محكمة بهاولپور سنة ١٩٣٥ م بعد مناقشة طويلة دامت عامين كاملين واشترك فيها كبار علماء أهل

السنة وكبار علماء القاديانية حكمها بكفر القاديانية وعدم حلة نكاح المسلمة بالقادياني. وكتب القاضي الفاضل محمد أكبر خان حيثيات الحكم في تفصيل واستدلال وحكم بارتداد القادياني وأن نكاح عائشة بنت إلهي بخش مع عبد الرزاق القادياني باطل شرعا وقد استعرض دلائل الفريقين وناقشها في نحو مائة وخمسين صفحة أصبح من المصادر العلية والمراجع القضائية في هذا الموضوع

ولما اشتد خطب القاديانية وكادت تستولى على باكستان - الدولة الاسلامية الكبرى - وفلت الزمام من يد الاسلام، فرعت الجماعات الاسلامية والاحزاب المختلفة والشخصيات الدينية بهذا لوضع الشاذ. واجتمع منهم ثلاثة وثلاثون ممثلا من رؤساء الجمعيات والجماعات الدينية وكبار العلماء في باكستان في يناير عام ١٩٥٣م في كراچی فطلبوا من الحكومة أن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة لها حقوقها، وأن تخصص لهم ما يستحقون حسب عددهم من المقاعد في البرلمان الباكستاني وما يستحقون من الوظائف في مختلف المصالح والادارات حتى لا يستولوا على أداة الحكومة والجهاز الاداري في باكستان ولا يضايقوا المسلمين في

١ - راجع «نبذة مقدمة لهاديپور» طبع في ١٩٣٥م في لاهور في اللغة الأردوية.

دولتهم التي أسسوها بدمائهم وأشلائهم

وتصاممت الحكومة عن هذه المطالبة العادلة الصارخة ولم تعرها شيئا من العناية فاضطر قادة الفكر إلى حركة عامة تبدى السخط العام وتفنن الحكومة بتغلغل هذه الفكرة والرغبة في طبقات الجمهور. وكانت حركة شعبية هائلة لم تشهد البلاد مثلها منذ عهد بعيد. وقد أضعفت هذه الحركة القاديانية كثيرا وأقصتها عن الحياة العامة والمجتمع الاسلامي وانتهت بسحب ظفر الله خان عن الوزارة أخيرا. ولكنها لا تزال قوة في الداخل ودعاية في الخارج ولا تزال خطرا على الفكرة الاسلامية ووحدتها في العالم الاسلامي، وعلى الجيل الجديد الذي لم يهضم الاسلام ولم يتشرب تعاليمه وثقافته ولم ترسخ فيه العقيدة الاسلامية الاصلية، ولا تزال نشيطة في بث دعوتها وعقيدتها في الاقطار العربية التي لا تخلو من الفوضى الفكرية - كغيرها من الاقطار - وجعل العقيدة الاسلامية في بعض الاوساط وقلة الحمية الدينية في بعضها. أضف إلى ذلك جهل إخواننا العرب الشباب لحقيقة القاديانية وتاريخها وعقائدها. وعجزهم عن الاطلاع على مصادرها ومؤلفات مؤسسها واتخاذهم بالدعايات وتأييد ظفر الله خان لبعض القضايا الاسلامية

وبعض مواهبه وشهرته التي لا صلة لها بالعقيدة وصحتها والتي ترزقها الكافر والمؤمن، والفاسق والصالح.

وقد عني بعض كبار العلماء في مصر والشام بالرد على القاديانية وكانت لهم في ذلك مواقف محودة يستحقون عليها الشكر والتقدير. ولم يمكنهم الاطلاع على العقيدة القاديانية وطبيعتها وتاريخها والدور الذي مثلته لأن المكتبة القاديانية لا تزال في «اردو» ومؤلفات المرزا غلام أحمد العربية - على قلتها - يضمن بها ويحرص على إخفائها. فلم تكن كتابات علماءنا في البلاد العربية على قيمتها العلمية والدينية تصويرا دقيقا صادقا للديانة القاديانية وما تشتمل عليه من طامات، وقد وجدتُ في زيارتي للشرق العربي وإقامتي في حواضره وعواصمه رغبة ماحية في نقل العقائد القاديانية وتعاليمها إلى العربية وتعريفها إلى العلماء العرب حتى يصح لهم الحكم عليها ويمكنهم نقدها وتزييفها.

كل ذلك أقلق شيخنا الجليل العارف الكبير مولانا عبدالقادر الراي بوري الذي يلهب غيرة على الاسلام وعقيدته وحماسته في الدفاع عن كرامة الرسول وعرضه والذي هو من أعرف الناس

بأخطار القاديانية وأهدافها قد عاصر ولادة القاديانية ونشؤها وقابل مؤسسها وجلس إلى صاحب فكرتها وسرها الحكيم نور الدين وكان دائماً من وراء الجهاد ضد الحركة القاديانية في بنجاب ومدده الروحي وسنده الديني، وأمرني بتأليف كتاب بالعربية أعرض فيه الديانة القاديانية وعقيدتها وتاريخها، وقد حثه على ذلك ندوة ما يقدم في هذا الموضوع إلى المثقفين العرب، فقد انعقدت الندوة العالمية في لاهور في يناير ١٩٥٨م وحضرها وفود من العالم العربي، وتساءل كثير من أعضائها عن القاديانية ولم يجد أصدقاؤنا - على شدة حرصهم - ما يقدمونه إلى هؤلاء العلماء.

وصلت إلى لاهور على إثر هذه الندوة العالمية فكان الشيخ وكان أصدقاؤى الكثيرون في انتظارى، وكان الشيخ مصمماً على أن لا يتركنى حتى أولف هذا الكتاب، ورائيت منه الجد والحرص الشديد على هذا التأليف الذى يراه حاجة من حاجات هذا العصر الاسلامى ودفاعاً عن كرامة الرسالة المحمدية الاخيرة التى تلاعب بها واجترأ عليها هذا الجسور وعرض الاسلام للخطر الدائم ورأيت من سعادتى أن يقع على اختيار أحد كبار المخلصين

وأن أكون جندياً صغيراً للدفاع عن الإسلام وأن أناصح عن عرض محمد عليه الصلاة والسلام وعن حماه وأرد عنه الكلاب والذئاب .

وكننت مكلفاً بدراسة المكتبة القاديانية الضخمة الثقيلة التي خلفها مؤسسها وبعض أتباعه واستعراضها ، ولم يتفق لي ذلك من قبل إذ لم يكن شيء أثقل علي وأبغض إلي من قراءة هذه الكتب الضخمة التي كتبت في أسلوب ثقيل لا تفيد قارئها علماً جديداً ولا تروح نفسه فليس فيها علم غزير ، ولا طرافة ولا متعة أدبية ولكنني عذمت على ذلك واعتكفت في حجرة من حجرات منزل الوجيه الفاضل الشيخ عبدالحميد عضو البرلمان الباكستاني والوزير السابق وحضر لي الاخوان مكتبة القاديانية ومن كتبها ما يحتوي على أكثر من ألف صفحة ومنها ما يشتمل على أقل منه وعكفت على مطالعتها والاقتراس منها ثم بدأت أكون رأيي وفكرتي فأكتب وأولف ، حتى تم الكتاب في قرابة شهر ، وكان ذلك في اليوم السابع والعشرين من فبراير عام ١٩٥٨ م . والحمد لله الذي بعزته وجلاله تم الصالحات .

وقد كان دليلى في هذه المكتبة الواسعة صاحب هذه المكتبة

مولانا محمد حياة الذي يكاد يكون دائرة معارف القاديانية . وله
اقدار عجيب واستحضار غريب لكل ما يتصل بالقاديانية وكنت
أقتبس من كلتا المكتبتين الصامته والناطقة، وأعترف أنني لم أكن
أستطيع أن أودى مهمتي لو لا مساعدة هذا الأستاذ الكبير الذي
تهيئه الدعاة القاديانيون ويتحامون مناظرته .

وطلب لي الشيخ الجليل مولانا عبدالقادر — الذي كان
يشرف على هذا العمل ويطلع يوميا على تقدمه — مولانا لال حسين
أختر — ليذا كرتني في هذا الموضوع ويعينني بمعلوماته القيمة وتجاربه
الواسعة وهو من أقوى المناظرين للإسلام وأوسعهم علما وأشدهم
عارضة، وقد بقي في لاهور ثلثة أيام يفيدني ويضيف إلى معلوماتي .
ولا شك أن توجيهاته كانت غالية جدا فقد عاش في القاديانية
زما وكان من كبار مناظرهم ثم وفقه الله للتوبة والدفاع عن
عقيدة الاسلام وليس اليوم أحد أشد على القاديانية منه، وعند
الدعاة القاديانيين تعليمات أن لا يناظروه .

وأذكر بالشكر والتقدير القاضى إحسان احمد الشجاع آبادى
الذى هو فى مقدمة خطباء هذا الموضوع وله مواقف مجيدة فى
الدفاع عن الاسلام والرد على القاديانية، أعترف بمهارته وملاحظته

للقاديانية رئيس المجلس القضائي في لاهور في تقريره المعروف .
وقد ساعدني الاستاذ المذكور ببعض معلومات نادرة وكتب كان
يعيها إلى .

وأخص بالشكر المجاهد الكبير مولانا محمد علي الجالندهري
وكيل مجلس تحفظ ختم نبوت، الذي مركزه ملتان. فقد كان
من كبار المرشحين بفكرة التاليف والمشجعين لآتمامه، والمغتربين
بظهوره .

ولا أنسى - مع هؤلاء العلماء الكبار - صديقي المخلصين اللذين
كانا بجوارى دائما يحضران كل ما أحتاج إليه ويسهران على
راحتي وكانا من كبار الحريصين على ظهور هذا الكتاب في أقرب
فرصة، وهما الأخ عبدالوحيد ابن أخت شيخنا الجليل، والقاضي
عبدالقادر، جزاهما الله وجميع الاخوان خيرا وتقبل منهم .

أما بعد فقد كتبت هذا الكتاب في أسلوب عصرى شائق،
وتحاميت الأسلوب الجدلى القديم، حتى لا يزهّد في قرائته الشباب
المثقف وتناولت شخصية مؤسس الديانة بالدراسة والتحليل العلمي،
وذكرت كيف تطورت فكرته وعقيدته، وانتقدت الديانة

وصاحبها في أسلوب علمي نزيه وتحريت الدقة والصحة والأمانة في ترجمة العبارات والنصوص وحكايتها والاحالة إلى الصفحات وذكرت المصادر القاديانية مع بيان طبعاتها لأن القاديانيين عرفوا بالتغير في الطباعات المختلفة، واشتهروا بالمكابرة وجهود النقل. وأرجو أن يكون هذا الكتاب الصغير منيرا للفكر وزادا للدعاة، ومغنيا عن الأسفار الكبيرة.

وصلى الله على خير خلقه وخاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبو الحسن على الحسنی الندوی
سلخ شعبان ١٣٧٧ هـ

ندوة العلماء
لكهنؤ (الهند)



الباب الأول

الشخصيات الأساسية وعصرها وبيئتها

الفصل الأول

(القرن التاسع عشر المسيحى)

يُسمَّى القرن التاسع عشر المسيحى بالاضطراب الفكرى والثورات النفسية فى الشرق الاسلامى . وقد اشتد هذا الاضطراب وعنف هذا الصراع فى الهند بصفة خاصة ، حيث كان الصراع بين الحضارتين — الغربية والشرقية ، وبين الثقافتين — الحديثة والقديمة ، وبين الديانتين — الاسلامية والمسيحية — أوضح وأقوى .

أخفقت ثورة الهند الكبرى ثورة ١٨٥٧م وأصاب المسلمين فى الهند دهشة الفتح ونكبة الهزيمة . وعانوا وطأة الاستعمار السياسى ، ووطأة الاستعمار الثقافى . وقامت الدولة الفتاة المنتصرة

تنشر ثفاقتها وحضارتها . وانتشر القسوس في الهند يدعون إلى المسيحية ويحرصون على زعزعة العقيدة الاسلامية وإضعاف الثقة بأسس العقيدة ومصادر الشريعة . وكان الجيل الناشئ - الذى لم ترسخ فيه التعاليم الاسلامية - فريسة هذه الدعوة بصفة خاصة . وكانت المدارس الثانوية والكليات - والجامعات قليلة في ذلك العصر - مرتعا خصيا للاضطراب الفكرى والثورة النفسية . وظهرت حركة التنصر . وكانت موجة الاحاد والتردد في العقائد أقوى وأطغى . وكثرت المناظرات بين القسوس وعلماء الاسلام ، انتصر فيها العلماء وظهرت فيها قوة حجج الاسلام ، ولكن تلا كل ذلك قلق في النفوس وتبلبل في الأفكار والعقائد .

واتسع الخرق بين الفرق الاسلامية ، وتحمست كل فرقة في الرد على غيرها ، وكثرت المناظرات والمجادلات أدت في بعض الأحيان إلى المضاربات والمحاكات . وحى الوطيس وعنف الصراع . كل ذلك أحدث قلقا فكريا وأضعف حرمة الدين ومهابته وحط من مكانة العلماء وكرامتهم .

ونشط المحترفون بالتصوف والناقصون في نشر شطحياتهم وإلهاماتهم . وقويت رغبة العامة والدهماء في الأمور الغريبة ،

والخوارق العجيبة، والأخبار الغريبة . وكثر المتطفلون والأدعياء
وهيأوا العقول والنفوس لكل أمر غريب، وشيء جديد، ولكل
دعوة طريفة وحديث خرافة .

واستولى على المسلمين اليأس والتذمر والقلق . وبئس الناس من
إصلاح الأوضاع بالأساليب العادية الطبيعية، وبدأوا يتطلعون
إلى منقذ جديد غريب . وكثر الحديث عن الفتن والعصر
الآخر، وكثرت التنبؤات والالهامات، وزادت المنامات
والتكهنات .

وكانت بنجاب أكبر مجال للقلق الفكرى وضعف العقيدة
والعلم . فقد قاست هذه الناحية من بلاد الهند حكم السكه الذى
كان أشبه بالحكومة العسكرية أو الحكم العرفى ثمانين حولاً،
ترزلت فى خلالها العقائد، وضعت الحمية الدينية، وفُقدت الثقافة
الاسلامية الصحيحة، واضطربت الأفكار والعقول والنفوس
اضطراباً عظيماً، وتهايت لكل ثورة فكرية، ودعوة متطرفة .

وقد ظهر المرزا غلام أحمد فى أواخر القرن التاسع عشر.
فوجد محيطاً مناسباً لفكرته ودعوته وطموحه . ووجد من البيئة

التي نشأ فيها والظروف والأوضاع التي عاصرتها ورافقته كل
مساعد ومشجع. ووجد من الحكومة التي كانت في أشد الحاجة
إلى زعيم روحى يؤيد سياستها ويتشبع لها كل ترجيب وتشجيع.
وهكذا سارت القاديانية سيرها تحت ظروف مساعدة حتى
أصبحت ديانة مستقلة وأصبحت مشكلة تهدد العالم الاسلامى.
وعن هذه المشكلة ونشوءها وتطورها نتحدث فى هذا الكتاب.



الفصل الثاني

(المرزا غلام أحمد القادياني)

نسبه وأسرته: ينتمي المرزا غلام أحمد القادياني إلى السلالة المغولية، وإلى فرع من فروعها يسمى 'برلاس'،^١ وظهر له متأخرا (أو ألهم من الله وكلم على التعبير الذي يؤثره) أنه من النسل الفارسي،^٢ وكان جده الكبير المرزا گل محمد، صاحب قرى وأملاك، وصاحب إمارة في بنجاب. وقد خسرها جده المرزا عطا محمد في حرب دارت بينه وبين السكه - الذين استولوا على بنجاب في فجر القرن التاسع عشر - وبقيت له خمس قرى من هذا التراث الكبير.^٣

وقد عُرف بينه - كما يتحدثنا المرزا مرة بعد مرة وبتباهاى

١ - اقتصرنا في ترجمته على مؤلفات المرزا غلام أحمد نفسه وتصريحاته وكتاباتاته، وكتاب سيرة المهدي لنجله الأوسط المرزا بشير أحمد، والمصادر القاديانية فقط.

٢ - هامش كتاب البرية للمرزا غلام أحمد ص ١٣٤.

٣ - الأربعين رقم ٢ ص ١٧ على الهامش، وترجمة الاستفتاء ملحق حقيقة الروحي ص ٧٧، وقد احتج كثيرا بالحديث المشهور.

٤ - كتاب البرية ص ١٤٢-١٤٤ (الهامش).

بذلك في رسائله التي قدمها إلى الحكومة الانجليزية - بالولاء والاخلاص للانجليز، والتفاني في طاعتهم وتشديد ملكهم. يقول: «لقد أقرت الحكومة بأن أسرقى في مقدمة الأسر التي عرفت في الهند بالنصح والاخلاص للحكومة الانجليزية. ودلت الوثائق التاريخية على أن والدي وأسرتي كانوا من كبار المخلصين لهذه الحكومة من أول عهدا، وصدق ذلك الموظفون الانجليز الكبار. وقد قدم والدي فرقة مؤلفة من خمسين فارسا لمساعدة الحكومة الانجليزية في ثورة عام ١٨٥٧م، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة. وكان أخى الأكبر غلام قادر بجوار الانجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة»^١.

ولادته: ولد المرزا عام ١٨٣٩م أو ١٨٤٠م في آخر عهد حكومة السكه في بنجاب في قرية قاديان من مديرية «گرداسبور» (الواقعة بعد التقسيم في الهند) وكان في السابعة عشرة من عمره يوم نشبت الثورة الهندية الكبرى^٢.

ثقافته: تلقى المرزا مبادئ العلم وقرأ الكتب المتوسطة في

١ - كتاب البرية، الاعلان المؤرخ ٢٠ من سبتمبر ١٨٩٧م، ص ٣-٥.

٢ - كتاب البرية ص ١٤٦.

المنطق والحكمة والعلوم الدينية والأدبية في داره على الأساتذة فضل إلهي، وفضل أحمد، وكل على شاه؛ والطب القديم على والده الذي كان طبيباً ماهراً. وعرف أيام الطلب بالعكوف على المطالعة والانقطاع إليها وإجهااد النفس حتى حمل ذلك والده مراراً على الاشفاق على صحته^١.

وظيفته وأشغاله: توظف المرزا في محكمة حاكم المديرية في مدينة سيالكوت بمرتب يساوي خمس عشرة رية^٢ (جنيتها مصريا وزيادة يسيرة) وبقي على ذلك أربع سنوات من عام ١٨٦٤ إلى عام ١٨٦٨ م^٣، قرأ خلال ذلك كتابين في الانجليزية^٤، ودخل في اختبار للحقوق وأخفق فيه^٥. واستقال من هذه الوظيفة عام ١٨٦٨ م، وشارك والده في المحاكمات والقضايا التي كان مشغولاً بها. وكان يتفرغ رغماً عن ذلك لمطالعة كتب التفسير والحديث والتدبر

١ - كتاب البرية ص ١٤٩-١٥٠.

٢ - كتاب «تحفة شاهزادة ويلز» (هدية إلى ولي العهد سمر أمير ويلز) بقلم المرزا بشير الدين محمود نجل مؤسس الديانة وخليفته الثاني ص ٣٤.

٣ - سيرة المهدي ص ٤٤، ج ١.

٤ - سيرة المهدي ص ١٥٥، ج ١.

في القرآن كما يقول^١.

صفته وأخلاقه: وقد لوحظ عليه من بداية أمره البساطة والفرارة وقلة الفطنة والاستغراق، فكان لا يحسن ملأ الساعة، وكان إذا أراد أن يعرف الوقت وضع أنمله على ميناء الساعة وعد الأرقام عدا^٢. وكان لا يحسن لبس الأحذية الأفرنجية الجديدة ولا يميز الأيمن منها من الأيسر حتى اضطر لذلك إلى وضع العلامة عليها بالحبر، وكان يخطئ رغم ذلك^٣. وكان يضع أحجار الاستنجاء التي يحتاج إليها كثيرا، وأقراص القند - التي كان مغرما بها - في خبا واحد^٤.

صحته وأمراضه: وقد أصيب في شبابه بمرض هستيريا (Hysteria) والنوبات العصبية العنيفة. وكان يغمى عليه في بعض هذه النوبات ويخر صريعا^٥. وكان يسمى ذلك بهستيريا بعض الأحيان وبالمراق أحيانا. وأصيب بداء البول السكري (Diabetes). وقد ساعده

١ - كتاب البرية ص ١٥٥ (الهامش).

٢ - سيرة المهدي ص ١٨٠ ج ١.

٣ - سيرة المهدي ص ٦٧ ج ١.

٤ - ترجمه المرزا لمعراج الدين عمر القادياني ملحقة بكتاب «براهين أحمدية» الجزء الأول ص ٦٧.

٥ - سيرة المهدي ص ١٧ ج ١.

ذلك كثيرا بعد ما ادعى أنه هو المسيح الموعود على تأويل الردائين الأصفرين اللذين ينزل فيها المسيح كما جاء في الأخبار^١ ونقل عنه الاشتغال بالعبادات والمجاهدات ومواصلة الصيام شهورا. وجلس في خلوة «أربعين» في هوشياربور سنة ١٨٨٦ م، ومكث فيها عشرين يوما أيضا^٢. ومنعه انحراف صحته وضعفه من مواصلة هذه المجاهدات.

معيشته: بدأ المرزا حياته كموظف صغير يزيد مرتبه على جنبه قليلا. وبدأ حياته في تعشف وزهادة حتى تبوأ الزعامة الدينية—التي سنشرحها في فصل قادم—فأتسع له العيش وأقبلت عليه الدنيا. وقد ذكر ذلك بنفسه فقال: إني لم أكن آمل نظرا إلى حياتي وإمكاناتها أن يحصل لي عشر ريات شهريا، ولكن الله الذي يرفع الفقراء من الحضيض ويرغم المتكبرين، قد أخذ يدي، وأنا أؤكد أن ما جاني من الوارد ومن الاعلانات والتبرعات إلى هذا الوقت (عام ١٩٠٧) لا يقل عن ثلث مائة ألف رية وربما

— اقرأ الفصل الثاني من الباب الثاني.

٢ — سيرة المهدي ص (٧١، ج ١).

يزيد على ذلك^١.

وقد توسع بعد ذلك في المطاعم والمشارب والأبنية، ومُنِعَى
بتناول الأطعمة المغزية والأدوية والمعجونات المقوية الثمينة،
واستعمال المسك والعنبر. وكان يتعاطى في بعض الأحيان بعض
أنواع المشروبات المقوية المسكرة (مثل Tonic Wine)^٢.
وتصرف في الأموال والواردات تصرفاً مطلقاً أثار اعتراضاً من
بعض كبار المخلصين^٣.

زواجه وذريته: تزوج أولاً سنة ١٨٥٢ أو ١٨٥٣ م في
أسرته، ورزق منها ولدين، أحدهما المرزا سلطان أحمد والآخر
المرزا فضل أحمد. (طلق هذه الزوجة عام ١٨٩١ م) وتزوج بعد
ذلك في دلهي عام ١٨٨٤ م، والقاديانيون يلقبون هذه الزوجة
الثانية بأم المؤمنين. وقد ولدت له سائر أولاده، منهم خليفته
الحالي المرزا بشير الدين محمود؛ والمرزا بشير أحمد، صاحب كتاب

١ - حقيقة الوحي ٢١١ - ٢١٢ .

٢ - مجموع الرسائل ص ٥ .

٣ - أنظر كتاب كشف الاختلاف للمولوى مرور شاه الكشميري القادياني

ص ١٢ وص ١٥ .

«سيرة المهدي»؛ والمرزا شريف أحمد^١.

وتنبأ عام ١٨٨٨ م بأنه سيتزوج الفتاة «محمدي بيگم» وهي من أسرته وأخبر أنه أمر قد قضى في السماء ونبأه الله به مرارا وتكرارا وتحدى عليه العالم. وتزوجت الفتاة بشاب آخر وعاشا بعد وفاته مدة طويلة^٢.

وفاته: وقد تحدى عام ١٩٠٧ م العالم المشهور بمولانا ثناء الله الأمر تسرى بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت. ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داءاً مثل الهیضة والطاعون يكون فيه حتفه^٣.

وفي شهر مايو ١٩٠٨ أصيب بالهیضة الوبائية^٤ وهو في لاهور، وأعياء الداء الأطباء ومات في الساعة العاشرة ونصف صباحاً، وكان ذلك في اليوم السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٠٨ م،

١ - سيرة المهدي ص ٥٣، ج ١.

٢ - إقرأ فصل «نبوءة لم تحقق».

٣ - «تبليغ رسالت» المجلد العاشر ص ١٢٠ إعلان من المرزا.

٤ - اعترف بذلك المرزا لصره النواب ناصر. انظر حياة ناصر للنواب ناصر الدهلوی

ص ١٤ - ١٥.

• - سيرة المهدي ص ١١، ج ١.

ونقلت جثته إلى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة
الجنة (بهشتي مقبره) وخلفه الحكيم نورالدين .



الفصل الثالث

﴿ الحكيم نور الدين البهروى ﴾

وتلى شخصية المرزا غلام أحمد القاديانى - مؤسس الديانة والطائفة - شخصية أخرى هى شخصية الحكيم نور الدين. ويعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم فى الحركة القاديانية، فلنعرف عليه.

نشأته وثقافته: ولد الحكيم نور الدين حول عام ١٢٥٨ هـ أو ١٨٤١ م يعنى قبل الثورة الهندية بست عشرة سنة فى بهيره من مديرية شاه پور^١ فى بنجاب. وكان أبوه الحافظ غلام رسول إماما فى مسجد فى « بهيره ». وينتهى نسبه - كما روى - إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

تعلم الحكيم الفارسية والخط ومبادئ العلوم العربية، وعُيّن أستاذا للفارسية فى مدرسة من مدارس الحكومة فى « راولپندى » فى ١٨٥٨ م وتعلم الاقليدس والحساب والجغرافية واجتاز امتحانا

١ - تسمى هذه المديرية الآن « سرگودھا » وهى فى غربى باكستان.

وعين مديراً لمدرسة ابتدائية. ومكث في هذه الوظيفة أربع سنوات قرأ في خلالها بعض كتب النحو والمنطق والتوحيد (علم العقائد). واعتزل هذه الوظيفة وانقطع إلى الدراسة. وقرأ شيئاً يسيراً على الشيخ أحمد دين الذي كان معروفاً باخلاصه وصلاحه، وصاحبه في السفر والحضر، ثم تركه لكثرة جولاته. وسافر إلى لاهور ومنها إلى «رامبور» الأمانة المسلمة في المقاطعة الشمالية والمركز العلمي الكبير، وقرأ على الشيخ حسن شاه، والشيخ عزيز الله والشيخ إرشاد حسين، والمفتي سعد الله، والشيخ عبد العلي. وأتم دراسته ومكث هناك ثلاث سنين.

ومن رامبور سافر إلى «لكهنؤ» بلد العلم والثقافة المعروف. وقرأ الطب العربي (القديم) على طبيبها المشهور الحكيم علي حسين، ومكث معه سنتين وحقق علم الطب. ومن رامبور سافر إلى «بهوبال» الأمانة المسلمة كذلك والمركز العلمي الكبير. وعنى به المنشئ جمال الدين (وزير بهوبال وصهر الأمير صديق حسن خان المؤايف الشهير). وقرأ على العالم الجليل بقية السلف المفتي عبد القيوم ابن الشيخ عبد الحى البرهانوى الحديث والفقه، ورحل للحج عام ١٢٨٥هـ. وأقام في الحجاز وقرأ على الشيخ

محمد الخزر جى والسيد حسين والشيخ رحمة الله الهندي صاحب إظهار الحق . وصحب الشيخ الجليل الشيخ عبد الغنى المجددى فى المدينة المنورة وبايعه ، ورجع إلى وطنه . وحدث بينه وبين علماء بلده مباحثات ومناظرات .

وُعِين طبيباً خاصاً فى ولاية «جون» منطقة كشمير الجنوبية . وخدم أمراء جمون وپونجه وكشمير . وكان يتمتع بنفوذ كبير لبراعته فى الطب وفصاحته وعلمه وذكائه حتى وقعت بينه وبين أمير جمون وحشة وعزل عن الوظيفة عام ١٨٩٢ م^١ .

وفى زمن إقامته فى جمون تعرف بالمرزا غلام أحمد القاديانى الذى كان مقبلاً فى «سيالكوت» وتوثقت بينهما الصداقة ولما ألف المرزا «براهين أحمدية» ألف الحكيم كتاب «تصديق براهين أحمدية» وبايعه الحكيم وخضع له حتى قال لما أخبر بأن المرزا ادعى النبوة: لو ادعى هذا الرجل أنه نبي صاحب شريعة ونسخ شريعة القرآن لما أنكرت عليه^٢ . وألف الحكيم نورالدين باقتراح

١ - أنقضت هذه المعلومات من كتاب «مرقاة البقین فى حياة نورالدين» للشيخ أكبر شاه خان النجيب آبادى طبع «أحمدية انجمن» إشاعت اسلام لاهور .
والكتاب من إملاء الحكيم نورالدين .

٢ - سيرة المهدي ص ٩٩ .

المرزا غلام أحمد كتاب «فصل الخطاب» في الرد على المسيحية في أربعة أجزاء^١. وانتقل إلى قاديان بعد اعتزاله عن الوظيفة عام ١٨٩٢، وتدير هناك وبويع بالخلافة على وفاة المرزا غلام أحمد عام ١٩٠٨ ولقب بالخليفة الأول، وخليفة المسيح الموعود نور الدين الأعظم، وكان يتردد في تكفير من لا يؤمن بالمرزا كني، ثم جزم بالتكفير^٢، وثار حول خلافته نقاش^٣ ولكنه لم يعتزل وبقى في خلافته ست سنوات، وسقط من الفرس، وجرح واعتقل لسانه قبل الوفاة بأيام^٤، وكان قد استخلف المرزا بشير الدين محمود نجل المرزا غلام أحمد الأكبر، ومات في ١٣ من مارس عام ١٩١٤ م^٥.

شخصيته وعقليته: تدل قصة حياته على أنه كان قلق النفس، متأثر الفكر، عقليّ النزعة، تحرر في المذهب ورفض التقليد في بداية أمره، ثم تأثر بالمدرسة التي تدين بضرورة إخضاع الدين والعقيدة

١ - «مرقاة البقین» ص ١٥٠.

٢ - «كلّنة الفصل» لبشير أحمد القادياني.

٣ - «تصحيد الأذهان» قاديان المجلد التاسع عدد ١١ نوفمبر ١٩١٤ م.

٤ - «صحيفة الفضل» المجلد التاسع عدد ٢٣٦٩ فبراير ١٩٢٢ م.

٥ - «صحيفة» «پیغام» صاحب المجلد الرابع عدد ١١٤.

والقرآن للعلوم الطبيعية ونظرياتهما التي دخلت - عن طريق
الانجليز - جديدة في الهند،^١ وتأويل كل ما عارض - وبالأصح
ظهر أنه يعارض - المقررات - وبالأصح المشهورات - العلمية
في ذلك العصر، ولو تعدى ذلك إلى التعسف وتحميل اللغة العربية
ما لا تحمله، وجنح إلى تأويل المعجزات والحقائق الغيبية.^٢

وكان كبير الرغبة في المباحثات والمناظرات. والمناظرات إذا
لم يكن لصاحبها إيمان راسخ وشخصيته دينية قوية ومدد رוחي قد
تجر إلى الاضطراب والتشكك والتأويلات البعيدة، هذا مع
صلاحته للخضوع للشخصية الدينية والخضوع للإلهام والمنامات
الغريبة. وكثيرا ما يجتمع التقليد والاستسلام الروحي، مع التنوير
وحرية الفكر، وشخصية الانسان شخصية مزدوجة تتركب من
شخصيات مختلفة وأهداف الانسان ودوافعه مما يعسر فهمها
والاحتواء عليها.

١ - كان يتزعم هذه المدرسة في أواخر القرن التاسع عشر السيد أحمد خان مؤسس
كلية عليكرة (التي أصبحت بعد وفاته جامعة عليكرة الإسلامية) ومن كبار
رجالها وموقفها الأستاذ جراح علي صاحب المؤلفات الشهيرة في الإنجليزية
والأردوية.

٢ - انظر نماذج في تفسير تليذه الأستاذ محمد علي اللاهوري وقرأ الفصل الخاص
بالفرع اللاهوري في هذا الكتاب.

الباب الثاني

تطور فكرة المرزا غلام أحمد وعقيدته وتدرجه في الدعاوى

الفصل الأول

﴿ الرجل كمؤلف وداعية إسلامي ﴾

في ساحة التأليف والمناظرة: لقد عرفنا المرزا غلام أحمد في ما سبق يعيش في قرية من قرى مديرية «گرداسبور» عاكفا على مطالعة الكتب الدينية، ويظهر من مؤلفاته التي ظهرت بعد عام ١٨٨٠م أن معظم هذه الكتب كانت عن الملل والنحل وعن المسيحية والبرهمية والآرية^١ بصفة خاصة.

لقد كان هذا العصر عصر المناظرة بين الأديان والفرق كما قدمنا. وقد نشط القسوس ورجال الكنيسة في نشر دياناتهم والدعوة

١ - فرقة من الهنادك أسسها «ديانند مرسوتي» في القرن التاسع عشر المسيحي، تمتاز بالحماسة الدينية والنشاط في الدعوة والمناظرة والرد على المسلمين، وتدعو إلى الأخذ بتعاليم ويذا ونصوصه ورفض البدع والمحدثات الداخلة في الديانة البرهمية، وتقول بقدوم العالم وقدم الروح والمادة.

إليها والرد على الدين الاسلامى ، وكانوا يستمدون قوتهم وثقتهم من الدولة التى تدين بالمسيحية وتعتبر هذه البلاد جائزة من المسيح . ونشط دعاة الآرية فى الرد على الاسلام ، وكان من مصلحة الانجليز - الذين اكتوبروا بنار ثورة عام ١٨٥٧ م التى كادت تقضى على مطامعهم - تشجيع هذه الدعوات والمجادلات ، لأنها تحدث الاضطراب الفكرى والخلقى فى البلاد والشعب ، وتشعر الناس بالحاجة إلى دولة قوية تحمى الجميع . وكان كل من يقوم للدفاع عن العقيدة الاسلامية والرد على الديانات الأخرى مطمح أنظار المسلمين ومعقد آمالهم .

هيا المرزا غلام أحمد نفسه للدخول فى هذه المعركة التى تكسبه النصر والصيت البعيد ، وبدأ يؤلف كتابا كبيرا فى إثبات فضل الاسلام وإعجاز القرآن وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على الديانات السائدة فى الهند كالمسيحية والآرية والبرهمية والبرهوسماجية^١ ، وقد سمي هذا الكتاب « براهين أحمدية » .

كتاب « براهين أحمدية » والتحدى عليه : بدأ تأليف هذا

١ - ديانة هندية جديدة ظهرت فى القرن التاسع عشر تحاول الجمع بين تعاليم الاسلام والبرهمية وتقر التوحيد وتكر النبوة والالهام . مؤسسها « راجه رام موهن راي »

الكتاب من عام ١٨٧٩م،^١ وتكفل المؤلف أن يجمع فيه ٣٠٠ دليل على صدق الاسلام، وقد بلغ الكتاب إلى ثلث مائة جزء (ملزمة تحتوي على ست عشرة صفحة)^٢ وكاتب بعض العلماء والباحثين والكتّاب في موضوع الكتاب، وطلب منهم أن يرسلوا إليه أفكارهم ومقالاتهم يستعين بها في تأليفه، وكان منهم الأستاذ چراغ علي، وجاءت منه مقالات وتوجيهات ضمنها الكتاب من غير أن يذكر مصدرها.^٣

ظهر الكتاب الموعود في أربعة أجزاء وفي ٥٦٢ صفحة بالقطع الكبير، وأصدر المؤلف إعلاناً في الانجليزية والاردوية في عدد كبير وأرسله إلى الملوك والوزراء والقسوس وعلماء الهناك وتحدى فيه وادعى - لأول مرة - أنه مأمور من الله لإقامة حجة الاسلام، ومستعد لإقناع الجميع. وقد جاء فيه بصراحة «لقد كلفني الله إصلاح الخلق بمسكنة وتواضع وفقير وتذل على طريقة النبي الناصري الاسرائيلي (المسيح) وقد ألقت لهذا الغرض كتاب «براهين أحمدية» الذي ظهرت منه ٣٧ ملزمة، وأنا مرسل

١ - سيرة المهدي ج ٢ ص ١٥١.

٢ - براهين أحمدية ج ٢ ص ١.

٣ - الدكتور عبد الحق في كتابه «چند هم عصر» ص ٥٣ - ٥٥.

نسخة من هذا الكتاب، وقد بشرني الله أن كل من يقرأ هذه الرسالة الموجهة إليه ثم لا يقرر بالحق يكتب له الهزيمة والخذلان». ودعا من طلب الحق أن يحضر إلى قاديان ويمكنه معه سنة كاملة وسيرى الآيات السماوية والخوارق، والذي لا يراها يستحق جائزة مائتي رية.^١

وتحدي أن يأتي أحد مثل هذا الكتاب ويثبت صحة دينه بالدلائل التي تكفي لدلائله في هذا الكتاب أو تبلغ نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها. والذي يقدم هذا الكتاب المطلوب الذي يحكم له ثلاثة حكام عادلون، يقدم إليه عشرة آلاف رية.^٢ وطلب من المسلمين أن يتبرعوا بنشاط وحماة لتكاليف طبع هذا الكتاب العظيم الذي هو انتصار للإسلام.^٣ ويظهر أن هذه الدعوة لم تلق ترحيباً كبيراً وتلبية متحمسة، وأن الإجابة كانت فاترة ضعيفة. وقد أبدى المؤلف تألمه من فتور الإجابة العملية.^٤

١ - ترجمة المرزا لمعراج الدين عمر القادياني في مقدمة كتاب «براهين أحديه».

الجزء الأول من ٥٨٢ و ٥٨٢.

٢ - «براهين أحديه» ص ١٨ - ٢٠.

٣ - «براهين أحديه» الجزء الأول (ب) بقلم المرزا غلام أحمد.

٤ - «براهين ج ٢ ص ج».

وقد تجلّت في هذا الاعلان الذي هو كالتمهيد لهذا الكتاب
وكالمقدمة لحياته روح التحدى والادلال بالنفس، والامترسال
في الدعاوى، والاعتماد على الخوارق والآيات السامرية في إقناع
الناس وإثبات الحق، بمحوار النزعة التجارية.

دعوة وسياسة: وقد ضمن الجزء الثالث والرابع حثّ العلماء
والجعليات الاسلامية على إقناع الحكومة الانجليزية، بأن المسلمين
أمة هادئة سلمية مخلصّة للانجليز؛ وعلى الاعلان بجرمة الجهاد في
بلاد الانجليز، وأن يترتب لذلك مذكرة تثبت عليها توقعات العلماء
وتقدم إلى الحكومة. وجاء في هذا الاقتراح التغنى بفضل الانجليز
على المسلمين، وأن حكومتهم نعمة جسيمة من الله ورحمة، وأنها
هي الدولة الوحيدة التي تحصل فيها أهداف إسلامية لا تحصل في
غيرها،^١ وأعاد ذلك وكرره مرة بعد مرة، وقد حرص على أن
لا تخلو باكورة مؤلفاته من هذا التوجيه السياسى للمسلمين، وخدمة
بارة للحكومة الانجليزية.

مسير الكتاب: استمر صدور هذا الكتاب من عام ١٨٨٠
إلى عام ١٨٨٤ م، وتوقف تأليفه بعد الجزء الرابع، فلم يؤلف

الجزء الخامس - وهو الأخير - إلا عام ١٩٠٥ م^١ يعنى بعد ٢٣ عاماً من بدء الكتاب كما اعترف به المؤلف نفسه في الجزء الخامس.^٢ وقد مات كثير من الذين اشتروا الأجزاء الأربعة الأولى وسددوا بدل الاشتراك، وبدأ الإنكار والاستياء من الذين قدموا أثمانهم. وقد اعتذر المؤلف في مقدمة الجزء الخامس عن ذلك. وذكر أنه عدل عن عرض ثلث مائة دليل على صدق الاسلام. وذكر أنه كان عازماً على إصدار خمسين جزءاً من هذا الكتاب ولكنه سيقصر على خمسة أجزاء ولما كان الفرق بين الخمسين والخمسة هو صفر واحد فقد أنجز وعده بآتمام خمسة أجزاء.^٣ وقد ذكر نجل المؤلف المرزا بشير أحمد في كتابه «سيرة المهدي» ان الكتاب لم يشتمل إلا على دليل واحد فقط من ثلث مائة دليل كان قد وعد بها، وهذا الدليل الواحد لم يأت كاملاً كذلك.^٤

نظرة في الكتاب: إن من يقرأ هذا الكتاب يعترف لمؤلفه بسلطان القلم وطول النفس في الكتابة والمناقشة. وكل ذلك يرشح

١ - سيرة المهدي، ج ٢، ص ١٥٤

٢ - ص ١

٣ - برامين، ج ٥، ص ٧

٤ - «سيرة المهدي» ج ١، ص ١١٢

مؤلفه ليكون مناظراً قوى العارضة—وبالأصح كاتباً مكثراً—إزاء
المسيحيين والآرية وباحثاً جدلياً، ويرفعه إلى صف المناظرين
البارعين المنتشرين في الهند .

ولا يجد القارىء في هذا الكتاب الطويل الضخم إبتكاراً علياً
لم يُسبق إليه المؤلف . ويفوقه في الاطلاع على المصادر المسيحية
وأسرارها ودقائقها والاقتداء على إخم القسوس الكبار مولانا
رحمة الله الكيرانوى (م ١٣٠٩ هـ) صاحب «إظهار الحق وإزالة
الآوهام وإزالة الشكوك»، وفي حلاوة المنطق وطرافة الاستدلال
في الرد على الآرية مولانا محمد قاسم النانوتوى (م ١٢٩٧ هـ)
صاحب «تقرير دل پذير»، و«حجة الاسلام»، و«آب حیات» .

الالهامات والتحديات في الكتاب: ويدهش القارىء ويتنخم
بالالهامات والمنامات والخوارق والكشوف والتكليمات الالهية
والنبوءات التي طفحت بها أجزاء هذا الكتاب، والادعاءات
والتحديات الطويلة العريضة التي تخرجه من كتب البحث العلمي
النزيه، والنقاش الدينى الهادى، إلى كتب التحدى والادعاء السافرة
التي تطفئ عليها الأنانية وتمنع من الاستفادة منها والاقبال عليها .

لقد بنى المؤلف كتابه على أن الإلهام لم ينقطع ولا ينبغي أن ينقطع، وأن هذا الإلهام هو من أقوى الدلائل على صحة الدعوى وصدق الديانة والعقيدة، وأن الذى يتم اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم يكرم بالعلم الظاهر والباطن الذى أكرم به الرسل لإصالة ويحصل له العلم اليقيني والقطعى، ويكون علمه اللدنى مشابها بعلم الرسل، وهم الذين ذكروا فى الحديث بالأمثل، وفى القرآن بالصدق، ويكون عصر ظهورهم مشابها بعصر بعثة الأنبياء، وبهم تقوم حجة الاسلام ويكون إلهامهم إلهاما يقينيا قطعيا^١.

ثم ذكر الشيء الكثير الممل من إلهاماته يطول نقله وتثقل قرائته على القارئ الأديب إلا أننا تقتصر على مثالين من هذه الإلهامات «الطريقة».

يقول: «لقد ألهمت أنفا وأنا أعلق هذه الحاشية، وذلك فى شهر مارس عام ١٨٨٢م ما نصه جرفيا:

«يا أحمد! بارك الله فيك، ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، الرحمن علم القرآن، لتذر قوما ما أنذر آباؤهم ولتستبين

سبيل المجرمين. قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين. قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، كل بركة من محمد صلى الله عليه وسلم، فبإمر من علم وتعلم. قل إن اقتربت به فعلي لإجرامى. هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. لا مبدل لكلمات الله، ظلموا أن الله على نصرهم لقدير. إنا كفيناك المستهزئين يقولون أتى لك هذا أتى لك هذا، إن هذا إلا قول البشر. وأعانه عليه قوم آخرون. أقفأتون السحر وأنتم تبصرون. هيهات هيهات لما توعدون. من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين جاهل أو مجنون. قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، هذا من رحمة ربك، يتم نعمته عليك ليكون آية للمؤمنين. أنت على بينة من ربك، فبشر وما أنت بنعمة ربك بمجنون. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله،^١ (فى عبارة طويلة).

إلى أن يقول: «إني رافعك إلى، وألقيت عليك حبة منى، لا إله إلا الله فاكذب وليطبع (كذا) وليرسل فى الأرض. خذوا التوحيد التوحيد يا أبناء الفارس (كذا). وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم. واتل عليهم ما أوحى إليك

من ربك. ولا تصغر لخلق الله، ولا تسم من الناس، أصحاب
الصفة وما أدريك ما أصحاب الصفة، ترى أعينهم تفيض من
الدمع، يصلون عليك. ربنا إتنا سمعنا مناديا ينادى للإيمان، وداعيا
إلى الله وسراجا منيرا أملوا. ١ اه

ومن إلهام طويل في الجزء الرابع:

«وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن
السفهاء، ألا إنهم هم السفهاء ولكن يعلون (كذا). ويحبون أن
تدهنون (كذا) قل يا أيها الكفرون لا أعبد ما تعبدون. قيل
ارجعوا إلى الله فلا ترجعون، وقيل استحوذوا فلا تستحوذون.
أم تسألهم من خرج فهم من مغرم مثقلون بل أتيناكم بالحق فهم
للحق كارهون، سبحانه وتعالى عما يصفون. أ حسب الناس أن
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، يحبون أن يحمدا بما لم
يفعلوا. ولا يخفى على الله خافية. ولا يصلح شيء قبل إصلاحه،
ومن رد من مطبعه (كذا) فلا مرد له. ٢»

وقد نزل عليه إلهامان بالانجليزية، ذكرهما في الجزء الرابع

١ - برامين ج ٢، ص ٢٣٩ - ٢٤٢.

٢ - برامين ج ٤، ص ٥٠٩.

من «براهين أحمدية»^١.

عقيدته في هذا الكتاب: لقد اقتصر هذا الكتاب بأجزائه الأربعة — من الدعاوى الخاصة به — على استمرار الإلهام وبقاء وراثته الأنبياء في العلم اللدني وحصول نور اليقين والعلم القطعي، وأنه مأمور من الله لإصلاح العالم والدعوة إلى الإسلام ومجدد لهذا الدين، وأن له ماثلة للمسيح عليه السلام^٢ وأقر فيه برفع المسيح عليه الصلاة والسلام إلى السماء ونزوله مرة ثانية^٣. وأنكر الحاجة إلى نبوة جديدة ووحى جديد، لأنه لا خطر على القرآن وتعاليمه من التحريف كويد والانجيل لقوله تعالى: «إننا نحن نزّلنا القرآن وإننا له لحافظون». ولا خطر على المسلمين من العود إلى الوثنية الجاهلية وعبادة المخلوق، فقد قال «وما يبدىء الباطل وما يعيد» بل بالعكس قد أصبح المشركون في خطر من التوحيد الإسلامي، وأصبحت الوثنية مهددة بالتعليم الإسلامي، فلا حاجة إذن إلى شريعة جديدة وإلهام جديد وتحقيق أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل^٤.

١ — براهين ج ٤، ص ٥٥٤ - ٥٥٦. ٢ — سيرة المهدي ج ١، ص ٣٩.

٣ — اعترف به المرزا في كتابه «ضميمه» كتاب نزول المسيح، المؤلف عام ١٩٠٢

ص ٦، وفي الجزء الخامس من براهين أحمدية ص ٨٥.

٤ — الجزء الثاني من براهين أحمدية ص ١١٠ - ١١١.

تأثير الكتاب ورد فعله : يظهر أن هذا الكتاب قد جاء في أوانه وأن المؤلف كان بعيد النظر في إثارة للوضوح الذي كان يشغل المسلمين، وكانوا يجلون كل من ينهض له ويضطلع به وينظرون إليه كبطل من أبطال الاسلام، وأنه أحسن الدعاية لهذا الكتاب، وقد أحدث دويًا في الأوساط الاسلامية، وكان التحدي من أكبر أنصار هذا الكتاب. وكان في مقدمة المعجبين به والمثنيين عليه زميله القديم في الدراسة الشيخ محمد حسين البتالوي من كبار علماء أهل الحديث في بنجاب فقد قرظه في شيء من الاطراء والمبالغة، وفي شيء من الدهشة والاستغراب في مجلته «إشاعة السنة»^١ وقد أراد الله أن يكون الشيخ من كبار المناهضين له والمنكرين عليه بعد ما ادعى أنه هو المسيح الموعود.

وقد توسم بعض العلماء أن مؤلف هذا الكتاب مدع للنبوة، ويذكر من هؤلاء الشيخ محمد والشيخ عبدالعزيز ابنا الشيخ عبدالقادر اللدهيانوي. وأنكر على هذه الالهامات واستبعدا جماعة من علماء أهل الحديث في أمرتس^٢.

١ - المجلد السابع عام ١٨٨٤ م عدد ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ .

٢ - مجلة «إشاعة السنة» المجلد السابع عدد ٦، يونيه ١٨٨٤ م .

لقد أخرج هذا الكتاب وهذا الاعلان الصارخ من زاوية الخمول ومن العزلة التي كان يعيش فيها، واتجهت إليه الانظار والقلوب، وعرفته البلاد، كما قال نجله بشير أحمد في سيرة المهدي^١. ويقول المؤلف نفسه عن العصر الذي بدأ يؤلف فيه «براهين أحديه»:

«لقد كنت في ذلك العصر رجلا خاملا ليس له معارض ولا موافق، أعيش في زاوية الخمول.... وكنت كيت مدفون في قبره من قرون، ولا يعرف أحد لمن هذا القبر ومن هو الدفين فيه»^٢.

مناظرته للآرية: وفي سنة ١٨٨٦م السنة التي اعتكف فيها المرزا في هوشيار بور ناظر «مرلي دهر» الآريا سماجي، وألف كتابا في حكاية هذه المناظرة التي وقعت في شهر مارس سنة ١٨٦٦م أسماه «سرمة چشم آريه»، وهو كتابه الثاني في المناظرة والرد على الديانة الآرية.

لقد كان موضوع البحث في المناظرة الأولى هي معجزة شق

١ - ص ١٠٤.

٢ - تسمه حقيقه الوحى ص ٢٨.

القمر وثبوتها عقليا ونقليا. وقد دافع المؤلف عن هذه المعجزة وعن المعجزات دفاعا قويا، وأثبت أن وقوع المعجزات والخوارق ممكن عقلا، وأنه ليس للمقل البشرى القاصر والعلم الانساني المحدود، والتجارب الفردية المحدودة أن تنكر وقوع المعجزات والخوارق في هذا العالم الفسيح. ويلح مرة بعد مرة على ضيق علم الانسان واتساع دائرة الامكان. ' ويقرر أنه لا بد في الدين من الايمان بالغيب، وأنه لا يتنافى مع العقل لأنه غير محيط. والكتاب من خير ما يرد به على بحثه نفسه في استحالة رفع المسيح وبقائه في السماء هذه القرون المتطاولة ونزوله، وعلى اتجاهه—الذي يسيطر على كل ما كتبه متأخرا—إلى إنكار المعجزات والتعليل العقلي في مثل هذه الآيات والغيبات. والشخصية التي تتجلى في هذا الكتاب تختلف عن الشخصية التي تجلت في ما بعد اختلافا واضحا.

إكتشاف خطير: وبهذين الكتابين — اللذين كان لهما صدق في الأوساط الاسلامية وغير الاسلامية — عرف المرزا قيمته وجعل يشعر بخطره وتأثيره، وامكانيات نجاحه، ونشأ فيه اعتداد—وبالأصح اعتزاز— بنفسه ورأيه وإعجاب بشخصيته ومواهبه.

وكان ذلك نقطة تحول من الخول إلى الظهور، ومن التواضع إلى الكبرياء ومن مناظرة المسيحيين و«الآرياسماجيين»، إلى دعوة المسلمين ومناظرتهم وتحديهم.

ونودع هذه الشخصية وقد وقفت على نقطة التحول وعلى مفترق الطرق في هذا الفصل وقد تهيأت لأمر عظيم ومهدت له الطريق، وتحدث عن الشخصية الجديدة التي فاجأت المجتمع الاسلامى فى الفصل القادم.



الفصل الثانى

من التأليف والدعوة إلى دعوى «المسيح الموعود»

بين صديقين: لقد علمنا فى الفصول السابقة أن الحكيم نورالدين كان مقيماً فى «جمون» بحكم وظيفته وكان طريقه إذا سافر من وطنه «بهيرو» إلى «جمون» على سيالكوت، البلد الذى أقام فيه المرزا غلام أحمد من عام ١٨٦٤ إلى ١٨٦٨ م موظفاً فى المحكمة، ويلتقيان على الرغبة الجارحة فى المناظرة وعلى الطموح، فتعارفاً وأعجب أحدهما بالآخر. وتبدأ المراسلة بينهما من عام ١٨٨٥ ونقرأ الرسالة الأولى للمرزا الموجهة إلى الحكيم فى مجموع رسائله، وقد أرخت باليوم الثامن من مارس سنة ١٨٨٥ م^١.

وتتصل وتستمر هذه المراسلة، وتتوثق بينهما الصداقة، ويتبرع الحكيم نورالدين بسخاء بطبع كتبه ويستدين منه المرزا ويشكره على مساعداته المالية وتبرعاته السخية، ويمترف له بالفضل والشهامة وترفع من بينهما الحشمة والكلفة، فيتكلمان فى الشؤون المنزلية

والأمور الشخصية.^١ ويسافر المرزا لزيارته إلى كشمير في يناير سنة ١٨٨٨ م، ويقيم عنده مدة شهر.^٢ ويكتب إليه المرزا ويطلب منه أن يؤلف كتاباً في الرد على «ليكهرام» الذي ألف كتاباً سماه «تكذيب براهين أحديه». ولا يزال على اتصال وثيق به يخبره بالهاماته ومناماته وعلومه الغريبة ويشكو إليه معارضة العلماء وتكفير بعضهم له ويذكر في كتاب له كتب في اليوم الخامس عشر من يولييه عام ١٨٩٠ «أفهم أن الله سيبدى أمراً عظيماً».^٣

إقتراح خطير: وفي سنة ١٨٩١ م — وهي السنة التي تعتبر بحق الخط الفاصل ونقطة التحول في حياة القادياني وفي تاريخ القاديانية — في اليوم الرابع والعشرين من يناير يفاجئنا كتاب من المرزا رداً على رسالة الحكيم نورالدين، يوضح لنا الفكرة القاديانية وكيف تطورت واختمرت ومن أين كان انبثاقها. وإلى القاري ما يتعلق بهذه النقطة في هذه الرسالة «الخالدة»:

«لقد تساءل الأستاذ الكريم: ما المانع من أن يدعى هذا

١ — راجع مکتوبات أحمدیه الجزء الخامس .

٢ — مکتوبات أحمدیه، ج ٥، ص ٥

٣ — مکتوبات أحمدیه، ج ٥، ص ٧٩

العاجز^١ أنه مثيل للمسيح، وينحى في جانب مصداق الحديث الذى جاء فيه أن المسيح ينزل فى دمشق، وأى ضرر فى ذلك؟ فليعلم الأستاذ الكريم أن العاجز ليست له حاجة إلى أن يكون مثيلاً للمسيح، إن همه الوحيد أن يدخله الله فى عباده المتواضعين المطيعين^٢.

الفكرة وأهميتها: لقد عرف الحكيم نور الدين باطلاعه الواسع على المكتبة الدينية ودراسته للجمع الإسلامى الذى كان يعيش فى آخر القرن التاسع عشر المسيحى، أن عقيدة حياة المسيح ونزوله فى آخر الزمان، وأحاديث الفتن — التى لم يأت تأويلها بعد — هو المنفذ اللائق للتسرب إلى عقول المسلمين، وأن الذى يتزعم هذا المنصب وينتقله ويظهر فى مظهره يستطيع أن يؤسس سيادة روحية وإمارة دينية وسياسية بسهولة. ويظهر من تاريخ ذلك العصر السياسى وما كتبه الانجليز أن فكرة الجهاد كانت قد أفلقتهم وشغلت بالهم. إن حركة المجاهد الشهير السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد كانت لا تزال ماثلة أمامهم. إنهم رأوا كيف ألهب السيد وزملاؤه شعلة الجهاد والفداء وبثوا روح النخوة الإسلامية

١ — يعنى المرزا نفسه.

٢ — مکتوبات أحمدیه ج ٥، ص ٨٥.

والحماسة الدينية في صدور المسلمين في الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحي وكيف التف حوله وحول دعاة آلاف من المسلمين عانت منهم الحكومة الانجليزية مصاعب عظيمة،^١ ورأت السيد محمد أحمد السوداني يقوم في السودان باسم الجهاد والمهدوية فكاد يقضى على الحكم الانجليزي في السودان. ثم رأت دعوة السيد جمال الدين الأفغاني تنتشر في العالم الاسلامي. كل ذلك كان يعرفه الانجليز، ويعرفون أن هذه الشرارة لا تزال كامنة في صدور المسلمين مستعدة للالتهاب والاشتعال بأدنى مناسبة، وكانوا يعرفون أن فكرة المهدي والمسيح الموعود قد تغلغلت في المجتمع الاسلامي. فلا يستغرب إذا كان هذا المشروع من وحيهم وإيعازهم وإنهم ارادوا استغلال هذه العقيدة والفكرة. وأيا كان المصدر الأول — الحكيم نور الدين أو الانجليز — ومهما كانت الدوافع والمغريات، فلا شك أن الحكيم نور الدين كان صاحب الاقتراح الأول في هذا المشروع. وهنا تتميز الفكرة القاديانية عن الديانات السماوية والدعوات النبوية تميزاً واضحاً، فإن الأنبياء والرسل — صلوات الله وسلامه عليهم — ينزل عليهم الوحي من السماء ويمتلأون إيماناً

وثقة برسالتهم ولا تنبثق عقيدتهم أو دعوتهم من اقتراح أو توجيه وتكون مقالاتهم «وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»، «وأنا أول المؤمنين».

لقد اقترح الحكيم نورالدين على المرزا غلام أحمد — بعد ما رقى القمة في «الروحانية»، وتنبأ له الجؤ وتمهد الطريق واشتهر ذكره في الآفاق — أن يظهر في مظهر المسيح ويدعى أنه هو المسيح الذي أخبر بنزوله، وأصبح ذلك عقيدة إسلامية^١ وكثر الحديث عنه في

١ — بما لا شك فيه أن عقيدة رفع المسيح ونزوله قبل القيامة من عقائد المسلمين التي دل عليها القرآن وتواترت بها الأحاديث والآثار وتلقاها جيل بعد جيل وطبقة بعد طبقة. وقد صرح ابن كثير بتواتر الأحاديث في نزوله، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري تواتر نزوله عليه السلام عن أبي الحسين الأبري. ومن شاء التفصيل فليراجع كتاب عقيدة الاسلام للعلامة انور شاه الكشميري. وكما تواتر النقل بالنزول كذلك انقصد الاجماع عليه من الأمة، وإنما خالفه الملاحدة والمتفلسفة كما في عقيدة السفاريني. وقد نقل الأبي وغيره في شرح مسلم عن مالك في التوبة نصه بما يوافق التواتر والإجماع. وكذا ابن حزم مصرح بتواتر النزول في كتابه الملل. أما الناحية العقلية وإمكان الرفع والنزول فن آمن بأحاطة قدرة الله وآمن بصفات الله وأفعاله لا يشك في إمكانه ووقوعه بعد محنة النقل وتواتره خصوصاً بعد تقدم العلوم الطبيعية في الزمن الأخير وبالأخص في عصر الأقهار الصناعية بما وسع دائرة الامكان. وقد أحسن العلامة انور شاه في ملاحظته أن المرزا غلام أحمد يدعى النبوة ثم يتفلسف مع أنه لا يعرف شيئاً عن الفلسفة والعلوم الطبيعية وإنما يردد ما سمعه من أتباعه أنصاف المتعلمين، فإذا عجز وقامت عليه الحجج العلمية التجأ إلى الإلهام، فهو كالنعمامة إذا قيل له طر استنوق أو استحمر، وإذا قيل له احمل استنفر.

المجتمع الاسلامى . وقدر الحكيم بحكمته أن المسلمين — بعد ما تأثروا بدفاعه عن الاسلام واعتقدوا فيه الولاية لكثرة إلهاماته ومناماته ومبشرات — يرحبون به ويخضعون له .

المرزا يدعى أنه مثيل للمسيح : وكنا نجل المرزا على اعتذاره عن الظهور فى المظهر الذى اقترحه الحكيم نورالدين وتواضعه وحيائه وحرصه على الخمول، ولكننا نفاجأ بأن المرزا قد قبل هذا الاقتراح وبدأ يعلن ذلك فى قوة وصراحة واستدلال ويدعو إليه، فطالع كتابه «فتح إسلام»، وهو أول كتاب ألفه ونشره بعد «براهين أحمدية»، و«سرمه چشم آريه»، و«شحنة حق»، — وكل ذلك تجرد عن فكرة مثيل المسيح — وظهر فى عام ١٨٩١ م السنة الفاصلة، فقرأ إدعائه أنه مثيل المسيح لأول مرة وهنا ترجمة العبارة الحرفية :

«(أيها الناس) إذا كنتم أصحاب إيمان ودين فاحمدوا الله واجمجدوا الله شكرا، إن العصر الذى قضى آباؤكم حياتهم فى انتظاره ولم يدركوه، وتشوقت إليه أرواح ولم تسعد به قد حل وأدركتموه، وإليك وحدكم أن تقدروا هذه النعمة وتتهزوا هذه الفرصة، سأكرر ذلك ولا أفأ أذكره أننى ذلك الرجل الذى

«أرسل لأصلاح الخلق ليقم هذا الدين في القلوب من جديد.»
 «لقد أرسلت كما أرسل الرجل (المسيح) بعد كلم الله (موسى) الذي رفعت روحه بعد تعذيب وإيذاء شديدين في عهد هيروديس، فلما جاء الكلم الثاني (محمد صلى الله عليه وسلم) الذي هو أول كلم وسيد الأنبياء لقمع الفراعنة الآخرين الذي قال الله تعالى عنه «إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا، فكان لا بد أن يكون بعد هذا النبي الذي هو في تصرفاته مثل الكلم ولكنه أفضل منه، من يرث قوة مثل المسيح وطبعه وخاصيته، ويكون نزوله في مدة تقارب المدة التي كانت بين الكلم الأول والمسيح بن مريم يعني في القرن الرابع عشر الهجري، وقد نزل هذا المسيح وكان نزوله روحانيا»^١.

وهذه العبارة مع غموضها وتعقدها — وأعتقد أن الكاتب قد اعتمد ذلك — صريحة في عقيدته ودعوته الجديدة، وأنه هو مثل المسيح. إذن قد قبل المرزا اقتراح صديقه نورالدين وتقمص هذه الفكرة الجديدة. وكتبه الثلاثة «فتح اسلام»، و «توضيح مرام»، و «ازالة اوهام»، وكلها ظهرت في عام ١٨٩١ م،^٢ تدور حول هذا

٢ — سيرة المهدي، ج ١٢، ص ١٥١.

١ — فتح اسلام، ص ٦ - ٧.

الموضوع وتبدأ وتعيد فيه . ويقول في محل آخر من هذا الكتاب :

« إن لي شهما بفطرة المسيح، وعلى أساس هذا الشبه الفطري أرسل هذا العاجز باسم المسيح لديك العقيدة الصليبية، فقد أرسلت لكسر الصليب وقتل الخنازير، لقد نزلت من السماء مع الملكة الذين كانوا عن يميني وعن شمالي^١ »

وافتح كتابه «توضيح مرام» وهو صنو الكتاب الأول بعبارة صريحة سافرة بل صارخة، وهذه ترجمتها حرفياً :

« إن المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير أن المسيح بن مريم قد رفع إلى السماء بحسده العنصرى، وأنه سينزل من السماء في عصر من العصور. وقد أثبت في كتابي يعنى «فتح اسلام» أنها عقيدة خاطئة^٢، وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام على طريق الاستعارة بقدم مثل المسيح، وأن هذا العاجز هو مقصد اق هذا الخبر حسب الاعلام والالهام^٣. »

١ - فتح اسلام، ص ٩ .

٢ - اعترض عليه بأنه قرر نزول المسيح في كتابه «براهين أحمديه» فاعتذر أنه ذكر ذلك كمقيدة إسلامية مشهورة يؤمن بها أكثر المسلمين، ولم يكن قد تلقى بعد إلهاماً في ذلك وإرشاداً من الله، فكان ذلك إتباعاً للآثار المروية قبل انكشاف الحقيقة (ازالة اوهام ص ٩٧). ويقول في براهين أحمديه ج ٥ «بقيت عينى مطبقة حتى فتحها الله» ص ٨٥ .

المشاكل وحلولها: ولا يزال نور الدين يلفته ويسترعى انتباهه إلى المشاكل العلية التي تعترض السالك في هذا الطريق الوعر ويوحى إليه كيف يتغلب عليها، وكيف يقنع المسلمين بانطباق صفة المسيح الموعود على المرزا غلام أحمد. وهنا مثال طريف لهذه الحلول والتوجيهات.

تفسير دمشق: لقد جاء في أحاديث النزول أن المسيح ينزل في دمشق^١ فكيف التطبيق والمسافة بين دمشق وقاديان بعيدة، والفرق بينهما واضح جلي؟ ولعل المرزا نفسه لم يكن متبها لهذا الاشكال، فنبهه نور الدين.

وندع المرزا يتحدث بنفسه عن الحادثة، ونسمعه يشرح كلمة دمشق التي جاءت في الأحاديث التي يؤسس عليها دعوته ودعواه، يقول في كتابه «إزالة أوهام»:

«إن هذا العاجز لم يكن قد عُني بالبحث في موضوع دمشق ومعناه بعد، إذ زارني صديق لي ومحِب مخلص الأستاذ نور الدين في قاديان، وطلب مني أن أتوجه إلى الله تعالى في فهم معنى دمشق، والكلمات المجملة التي وردت في روايات مسلم (بن الحجاج القشيري)

وأن يكشفها الله على ، ولما كنت مريضاً منحرف الصحة لا أتحمل
العناء وإجهد الفكر لم استطع الالتفات إلى تحقيق هذه الأغراض
كلها ولكن انكشف لى معنى كلمة واحدة وهى «دمشق» بما بذلته
من عناء قليل^١

«فليعلم الاخوان أن الله اطلعنى—فى ما يتصل بكلمة دمشق—
على أن المسمى بهذا الاسم—دمشق—قرية يسكنها رجال طيعتهم
يزيدية، وهم أتباع يزيد الحبث (كذا فى الأصل) فى عاداته
وأفكاره، الذين قلوبهم متجردة عن حب الله ورسوله، وليس
عندهم احترام للأحكام الالهية، الذين اتخذوا إلههم هواهم،
وانقادوا لنفوسهم الأمارة حتى هانت عليهم إراقة دماء المقدسين
الازكياء. الذين لا يؤمنون بالآخرة، وتعقد عليهم وجود الله
تبارك وتعالى وأعيامهم فهمه، ولما كان من شأن الطبيب أن يأتى إلى
المرضى، وجب أن يكون نزول المسيح فى أمثال هؤلاء».

«يدل نزول المسيح فى دمشق دلالة واضحة على أن رجلا يجمع
بين مماثلته للمسيح، ومشايبته بالحسين (بن على رضى الله عنهما)
سينزل لتعذيب اليزيديين الذين هم مماثلون لليهود ولازامهم الحجة»^٢.

«إن كلمة دمشق إنما استعملت استعارة»^١

ويقول في محل آخر:

«إن قرية قاديان مشابهة بدمشق، فأُنزلني الله لأمر عظيم في دمشق هذه بطرف شرقي عند المنارة البيضاء من المسجد الذي من دخله كان آمناً، فتبارك الذي أنزلني في هذا المقام»^٢.

الرداءان الأصفران ويظهر المرزا في مظهر حمام داهية جسور ألزم نفسه الدفاع عن قضية واهية ضعيفة، فهو لا يتوقى التطع والتشويق والتعسف والوقاحة—ومعذرتي من شدة هذه الكلمة— ليكسب قضيته، ومن أمثلة هذا الدفاع والاحتجاج:

لقد اعترض عليه خصومه بأن أحاديث النزول التي يحتاج بها ويؤسس عليها دعوته ودعواه أنه هو المسيح الموعود، قد جاء فيها أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران، فقال:

«المراد بالرداء الأصفر العلة؛ وقد جاء في الحديث أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران وهذا شأني، فأتني أعاني علتين إحداهما في مقدم جسمي وهو الدوار الشديد الذي قد أخر به على

الأرض ويضعف دوران الدم في القلب وأخاف به على نفسى، والعلّة الثانية في أسفل الجسم وهى كثرة البول التى تسمى «الذبابطس»، والذين يرفضوننى يؤمنون بأن المسيح يحمل هذه الآيّة من السماء وهى علنان إحداهما فى مقدم الجسم والاخرى فى مؤخره»^١.
ويقول فى محل آخر:

«إننى أعانى علتين من مدة طويلة، إحداهما الصداع الشديد الذى أعالج منه الشدة والكرب والأهوال الشديدة، وقد زال وبقي الدوار الذى يتناوبى بعض الأحيان، وذلك لثلا يقع الخلل فى نبوءة الردائين الأصفرين، والعلّة الثانية مرض السكر الذى أعانيه منذ عشرين سنة»^٢.

المنارة الشرقية: أما المنارة الشرقية التى أتعبته كثيراً فقد أراد أن يتغلب على مشكلتها ببناء منارة فى شرقى قاديان، وقرر ذلك فى سنة ١٩٠٠م كما فى «سيرة المهدي»^٣ وفتح الاكتاب لذلك وحث على الاعانات؛ ووضع أساسها عام ١٩٠٣م، وتم هذا المشروع

١ - براهين أحديه، ص ٢٠١.

٢ - ج ٢ ص ١٥٣.

٣ - انظر ضميمه خطبة الهاميه ص ١.

٤ - سيرة المهدي، ج ٢ ص ١٥٤.

بعد وفاته في حياة نجله المرزا بشيرالدين محمود .

حدة وتهكم: ونراه في هذه الكتب الثلاثة «فتح إسلام، توضيح مرام، وإزالة أوهام، تعتريه حدة شديدة في مقارعة الخصوم والاحتجاج عليهم وبلتجاً كثيراً إلى السخرية والاستهزاء، فيسخر من عقيدة حياة المسيح ونزوله من السماء ويتهكم لمن يؤمن بها من العلماء في أسلوب أقرب إلى أسلوب الندماء المتندرين منه إلى أسلوب العلماء الباحثين والدعاة المثقفين^١. ويعتمد كعادته على الالهامات والمنامات، ويستدل - شأن الباطنية - بحساب الجمل والأعداد^٢، ويستمرسل في تأويل الآيات والنبوءات والكلمات الواردة في الأحاديث، ويعتبرها كلها مجازات واستعارات. ويحكي في ذلك الباطنية الأولين الذين كانوا يتطرفون في تأويل المصطلحات الدينية والكلمات الشرعية المتواتر لفظها ومعناها ومفاهيمها، ويتوصلون بذلك إلى فتح باب الاتحاد والفساد والفوضى على مصراعيه والعبث بالدين وبعقول الناس، ويصرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم تتضح له حقيقة ابن مريم والدجال الكاملة، وقد ألقى الله عليه علماً إجمالياً

١ - أنظر ص ٢٠ - ٢١ من إزالة أوهام .

٢ - المصدر، ص ٣٣٨ .

في ذلك^١.

قبر المسيح في كشمير: ولم يزل يحول ويبدأ ويعيد في موضوع وفاة المسيح حتى قرر أخيراً بأنه توفي في كشمير ودفن هنالك. وأتى في هذا البحث بالعجائب كعاداته، فقرر أن كشمير ينطق بها في اللغة الكشميرية «كشير» ويظهر أن هذه الكلمة في الأصل عبرية مركبة من الكاف التي للمائلة والتشبيه، و«أشير» التي معناها في العبرية الشام يعني مثل الشام. ولما هاجر عيسى عليه السلام من فلسطين إلى كشمير— التي تشبه بلاد الشام كثيراً في طيب المناخ وبرودة الطقس — سماها الله تعالى كشمير تسلياً لعيسى بن مريم وإدخال السرور عليه. وسقطت الألف بكثرة الاستعمال وأصبحت كشمير^٢. ثم قرر أن القبر المشهور بقبر بوذاسف في حارة خان يار هو قبر المسيح عليه السلام الذي هاجر إلى كشمير قبل ألفي سنة، وكان يعرف بالنبي ابن الملك. واستمر في تفصيل هذه النادرة وتطبيق اسم بوذاسف وقبره على المسيح عليه السلام في أسلوب خيالي يدل على براعته في التطرف وثقته ببساطة قرائه وإيمانهم بكل ما يقول^٣.

١ — إزالة أو هام، ص ٢٤٦.

٢ — براهين أحديه، ص ٢٢٧.

٣ — براهين أحديه، ص ٢٢٨.

وقد جاء في رسالة وجهها إلى بلاد العرب وأنشأها بالعربية: «ثم مات ودفن في أرض قريبة من هذه الأقطار، وقبره موجود في سرى نكر الكشمير إلى هذا الزمان، ومشهور بين العوام والخواص والأعيان، ويزار ويتبرك به، فاستل أهلها العارفين إن كنت من المرتابين»^١.

ونترك المرزا في هذه المرحلة وقد حمل راية «المسيح الموعود»، وهو يتهاى لمنزلة أسمى من هذه المنزلة وهي منزلة النبوة، وقد بذر بذورها في كتبه وهباً لها الجو والتف وله رجال يؤمنون بكل ما يصدر عن هذا الرجل، ويصفقون له بحماسة وإخلاص.



الفصل الثالث

﴿ من المسيحية إلى النبوة، فما فوقها ﴾

خطة مرسومة: قلنا في نهاية الفصل السابق أن المرزا قد بذر بذور «النبوة» في كتبه وهياً لها الجو، والذي يطالع مؤلفاته من «براهين أحمدية» إلى «ازالة أوهام» - وبينها مؤلفات ورسائل كثيرة - يشعر بأن الرجل كان بعيد النظر وكان لبقاً في إبداء أفكاره، وقد يشعر بأن الخطة كانت مرسومة من أول يوم، وأنه كان يمشى خطوة خطوة، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة، فنراه يتكلم عن الإلهام والعلم الباطني والعلم اليقيني كنزلة طبيعية يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والاضمحلال فيه. ويتكلم عن صفات النبوة وخصائصها - من غير أن يصرح بكلمة «النبوة» و «النبي» الذي يجمع هذه الخصائص والصفات - وحصول ذلك لأفراد الأمة على طريق التبعية والوساطة. ولم تكن النتيجة الطبيعية لهذا المنطق ولهذا المقدمات إلا أن يدعى المرزا غلام أحمد النبوة ويصرح بها في يوم من الأيام. ولعله كان يدرس

الأحوال ويتأكد من وجود المحيط المناسب لهذه «الدعوى» الكبيرة التي تحدث الضجة العظيمة في المجتمع الاسلامي، ويستوثق من وجود الايمان الراسخ في قلوب أتباعه وتصديقهم لكل ما يقول .
إعلان وتصريح: وقد حدث الحادث المرتقب عام ١٩٠٠م، فقد ألقى الشيخ عبدالكريم^١ خطبة الجمعة، ذكر فيها أن المرزا غلام أحمد مرسل من الله، والايمان به واجب، والذي يؤمن بالأنبياء، ولا يؤمن به يفرق بين الرسل، ويخالف قوله تعالى في وصف المؤمنين «لا نفرق بين أحد من رسله» .

أثارت هذه الخطبة نقاشا بين الرجال الذين آمنوا بالمرزا كولى ومجمد ومهدى معمود ومسيح موعود، وكانت مفاجأة لهم آلمت بعضهم وأدهشت الآخرين. وكان في مقدمة المنكرين الشيخ محمد أحسن الأمر وهي^٢، فعاد المولوى عبدالكريم، وألقى خطبة أخرى في هذا المعنى في الجمعة الثانية والنفت إلى المرزا وقال له :

١ - هو الذى يلى نورالدين فى التقدم والاهمية، وكان المرزا يقول إنه ونورالدين جناحان يطير بهما، كان خطيب الجمعة وإمام الصلوات وكاتب السر، وكان شديد الحب للمرزا. مات فى مرض السرطان فى حياة المرزا، ولم يمهده مع شدة حرصه على ذلك وحينه (سيرة المهدي ج ١، ص ٢٧١) .

٢ - كان من كبار أتباع المرزا غلام أحمد والمدانعين عنه، كان موظفا فى بهوبال وعزل وبائع المرزا، وحث المرزا أتباعه على جمع الاعانات له، وعخاف المرزا بشيرالدين فى بعض عقائده وعارضه .

«أنا أعتقد أنك نبي ورسول، فإن كنت مخطئاً نهى على ذلك، ولما انتهوا من الصلاة وهم المرزا بالانصراف أمسك المولى عبدالكريم بذيله وطلب منه الحكم، فأقبل إليه المرزا وقال: «هذا الذى أدين به وأدعيه» وألقى ذلك الشيخ محمد أحسن، وجعل يناقش المولى عبدالكريم وارتفع صوتهما، فخرج المرزا من بيته وقال «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي»

وندع المرزا بشيرالدين محمود نجل المرزا الأكبر يشرح هذا الانتقال «من المسيحية إلى النبوة»، الذى قد أصبح طبعياً وجاء فى أوانه بعد هذه التمهيدات والمقدمات التى علمناها فى الفصول السابقة. وصاحب البيت أدرك بما فيه، يقول فى كتابه «حقيقة النبوة»:

«وبالجملة كان سيدنا المسيح الموعود يعتقد فى بداية الأمر أن كلمة النبي تطلق على رجل يأتى بشريعة جديدة أو يفسخ بعض الأحكام أو يكون نبياً بلا واسطة. لذلك كان — رغم أن جميع الشروط التى تشترط للنبي كانت موفرة فيه — يأتى أن يتسمى

بالنبي، ومع أنه كان يدعى جميع الخصال التي يتصف بها الإنسان بالنبوة ولكنه لا اعتقاده أنها شروط المحدث لا شروط النبي، كان يسمى نفسه المحدث، ولم يكن يشعر أنه يصف نفسه بصفات لا توجد في غير الأنبياء ثم ينكر النبوة، ولكن لما فطن أن وصفه لنفسه وكيفية دعواه لا تنطبق على المحدثية، إنما تنطبق على النبوة، أعلن نبوته في صراحة^١

وسواء كان يمتنع من إدعاء النبوة — في صراحة ووضوح — لاعتقاده أن النبوة تستلزم الاتيان بشريعة جديدة ونسخ بعض الأحكام السابقة، وأن تكون مباشرة من غير واسطة حتى ألهمه الله الصواب وشرح صدره لادعاء النبوة أو أسر بذلك من الله — على حد تعبيره، أو كان يمتنع عن ذلك لأن الوقت لم يحن بعد، والزرع لم يولغ ولم يبلغ الحصاد، فلا شك أنه وصل بعد قطع هذه المراحل إلى النتيجة الطبيعية اللازمة.

تصريحات وتحديات: ومن عام ١٩٠١ — كما يقول المرزا بشير الدين محمود — استقر الأمر على ذلك وبدأ يصرح به في

مؤلفاته^١ والرسائل التي أصدرها باسم «الأربعين» - وكان قد وعد قراءه أنها ستبلغ أربعين رسالة، ثم عدل عن الفكرة واقتصر على الأربعة «تأسيا بالله تعالى في إبدال خمسين صلاة بخمس»^٢ - طافحة بالتحديات السافرة والاعلانات الصارخة عن منصبه الجديد .

وازداد صراحة وتحديا في الأعوام المقبلة، وقد ألف رسالة عام ١٩٠٢^٣ أسماها «تحفة الندوة» وجهها إلى أعضاء ندوة العلماء، قال في الصفحة الأولى منها وهي بالعريية، ومعدرتي إلى إخواني العرب من هذه العريية الهندية التي حاول فيها المؤلف - في عبث - أن يقلد الحريري أو يحكي الصحف السماوية:

«أيها الناس . عندي شهادة من الله فهل أنتم تؤمنون . أيها الناس عندي شهادات من الله فهل أنتم تسلمون . وإن تعدوا شهادات الله لا تحصوها ، فاتقوا الله أيها المستعجلون . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون . إنا نصبرنا

١ - حقيقة النبوة ، ص ١٢٤ .

٢ - الأربعين ، رقم ٤ ، ص ١٤ .

٣ - سيرة المهدي ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

من ربنا ولا تتصرون من الله أيها الخائنون . أقتلنوني بفتاوى القتل أو دعاوى رفعتوها إلى الحكام ثم لا تسدمون . كتب الله لاغلبن أنا ورسلی، ولن تعجزوا الله أيها المحاربون^١ .

ويقول في هذه الرسالة في لغة صريحة مكشوفة وأسلوب سافر:
 « فكما ذكرت مراراً أن هذا الكلام الذي أتله هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة وأنا نبي ظلي^٢ وبروزي^٣ من أنبياء الله وتجب على كل مسلم إطاعتي في الأمور الدينية ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأني المسيح الموعود . وكل من بلغته دعوتي فلم يحكمني ، ولم يؤمن بأني المسيح الموعود ، ولم يؤمن بأن الوحي الذي ينزل على من الله ، هو مسئول ومحاسب في السماء وإن كان مسلماً ، لأنه قد رفض الأمر الذي وجب عليه قبوله في وقته . إنني لا أقصر على قولي أن لو كنت كاذباً لهلك ، بل أضيف إلى ذلك أنني صادق كموسى وعيسى وداؤد ومحمد صلى الله

١ - تحفة الندوة .

٢ - وشرحه المرزا بقوله : « أنا رآة انكست فيها الصورة المحمدية والنبوة المحمدية بتمامها » (نزول المسيح ص ٣) .

٣ - وشرحه المرزا بقوله : انكست الكالات المحمدية كلها مع النبوة المحمدية في لون البروز في رآة ظلي (ايك غلطى كا ازاله)

٤ - كلا يتصادم مع طاعة الحكومة الانجليزية . - (المؤلف)

عليه وسلم، وقد أنزل الله لتصديق آيات سماوية تربي على عشرة آلاف، وقد شهد لي القرآن، وشهد لي الرسول، وقد عين الأنبياء زمان بعثتي وذلك هو عصرنا هذا، والقرآن يعين عصرى، وقد شهدت لي السماء والأرض وما من نبي إلا وقد شهد لي^١.

وقال فى كتاب «حقيقة الوحى»:

«لقد حُرم الذين سبقونى من الأولياء والأبدال والأقطاب من هذه الأمة المحمدية من النصيب الكبير من هذه النعمة (يعنى الإلهامات والمكلمة الإلهية) ولذلك خصنى الله باسم النبى، أما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم»^٢.

وكتبه بعد ذلك طائفة بمثل هذه العبارات والتحديات، ومن أراد التوسع فى هذا الموضوع فليقرأ كتاب «حقيقة الوحى» للرزاق غلام أحمد، و«حقيقة النبوة» لنجله والخليفة الثانى المرزا بشيرالدين محمود.

نبوة مستقلة: وقد جاء فى مؤلفاته ما يدل على أنه كان مقتنعا بأنه نبي مستقل صاحب شريعة وأمر ونهى، فقد ذكر فى كتاب

١ - تحفة الندوة، ص ٤ .

٢ - حقيقة الوحى، ص ٢٩١ .

الأربعين ، أن النبي التشريعي هو الذي يشتمل وحيه على أمر ونهى ، وإن كان هذا الأمر والنهى قد تقدما في كتاب نبي سابق ، ولا يشترط لنبي صاحب شريعة أن يأتي بأحكام جديدة .^١

ثم يطبق ذلك على نفسه ويقول : إن وحيي يشتمل على الأمر والنهى ، مثلاً ألهمت من الله « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم » ، وذكرت ذلك في « براهين أحمدية » وقد اشتملت هذه الآية على أمر ونهى ، ومضى على ذلك ثلاث وعشرون سنة واستمر الوحي وفيه الأوامر والنواهي . فان قال قائل : إن المراد بالشريعة الشريعة التي تشتمل على أحكام جديدة ، انتقض هذا القول ، لأن الله يقول : « إن هذا لى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » .^٢

ونسخه للجهد الذى شرعه الله وأمر به الرسول وإنعائه لذلك بكل صراحة وقوة دليل على أنه كان يعتقد أنه نبي صاحب شريعة وأمر ونهى يستطيع أن ينسخ شريعة القرآن ، ويستلزم ذلك التشريع المستقل ، بل يعتقد ويعلن « أن الروضة الانسانية كانت

١ - رقم ٤ ، ص ٦ .

٢ - الأربعين رقم ٤ ، ص ٦ .

لا تزال ناقصة وقد تمت بأوراقها وأثمارها بقدمه^١،
 تكفير من لا يؤمن بهذه النبوة: وكانت نتيجة دعوى النبوة
 الطبيعية والمنطقية تكفير جميع من لا يؤمن بهذه النبوة الجديدة.
 وقد قال في الجزء الخامس من براهين أحمدية «ستؤسس جماعة
 وينفخ الله الصور بغمه لتأييدها، وينجذب إلى هذا الصوت كل
 سعيد ولا يبقى إلا الأشقياء الذين حققت عليهم الضلالة وخلقوا
 ليملاؤا جهنم»^٢.

وقد جاء في إلهام له نشره في اليوم الخامس والعشرين من شهر
 مايو سنة ١٩٠٠ م: «الذي لا يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويبقى
 مخالفاً لك عاص لله ولرسوله وجهنمى»^٣.

وقال في ما نقله الدكتور عبدالحكيم: «إن الله كشف على أن
 كل من بلغته دعوتى ولم يقبلنى ليس بمسلم»^٤.

وبذلك تدين الديانة القاديانية الرسمية (التي يتزعمها المرزا
 بشير الدين محمود ابن المؤسس). يقول في كتابه «آئنة صداقت»

١ - براهين أحمدية، ج ٥، ص ١١٣.

٢ - ص ٨٢.

٣ - معيار الاختيار، ص ٨.

٤ - صحيفة الفضل والقاديانية، ١٥ يناير ١٩٣٥ م.

أن كل مسلم لم يدخل في بيعة المسيح الموعود سواء سمع باسمه أو لم يسمع كافر وخارج من دائرة الاسلام^١. وبذلك صرح أمام المحكمة، وتصريحاتهم في ذلك أكثر من أن تحصى، وعلى هذا الأساس يعاملون المسلمين في باكستان، فلا يصاهرونهم^٢ ولا يصلون خلفهم^٣ ولا يصلون على أمواتهم^٤. ويعتقدون أن الحج الذي أدى قبل القاديانية حج باطل^٥. وهذه كلها نتائج النبوة الجديدة وطبيعتها.

التناسخ والحلول: وفي عبارات المرزا ما يدل على عقيدة التناسخ والحلول، وعلى أن الانبياء كانت تناسخ أرواحهم ويتقمص روح بعضهم وحقيقتهم جسد بعضهم وتظهر في مظهر الآخر. وقد جاء في «ترياق القلوب»:

«إن مراتب الوجود دائرة، وقد ولد إبراهيم بعبادته وفطرته ومشايبته القلبية، بعد وفاته بنحو ألفي سنة وخمسين في بيت عبد الله

١ - ص ٣٥.

٢ - كتاب بركات خلافت، ص ٧٣ و ٧٥.

٣ - قد نهى عن ذلك غلام أحمد نفسه. «الأربعين» رقم ٣، ص ٣٤.

٤ - وقد طبقه سر ظفر الله خان بكل دقة حتى لم يصل على المستر محمد علي جناح مؤسس باكستان.

٥ - والحكم القاديانية، مجلد ٣٧ عدد ١٦، ٧ مايو ١٩٣٤.

بن عبدالمطلب وسمى بمحمد صلى الله عليه وسلم.^١

ويقول في كتاب آخر: «وتحل الحقيقة المحمدية وتتجلى في منبع كامل..... وقد مضى مئات من الأفراد تحققت فيهم الحقيقة المحمدية، وكانوا يسمون عند الله عن طريق الظل محمداً وأحمد.^٢ ويقول: «إن الله أرسل رجلاً كان أنموذجاً لروحانية عيسى وقد ظهر في مظهره وسمى المسيح الموعود، لأن الحقيقة العيسوية قد حلت فيه، ومعنى ذلك أن الحقيقة العيسوية قد اتحدت به.^٣

بعثان للنبي: ويعتقد ويعلن أن للنبي صلى الله عليه وسلم بعثتين. يقول في «الخطبة الالهامية»:

«واعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم كما بعث في الألف الخامس كذلك بعث في آخر الألف السادس باتخاذ بروز المسيح الموعود.^٤ إلى أن يقول: «بل الحق أن روحانيته عليه السلام كان في آخر الألف السادس—أعني في هذه الأيام—أشد وأقوى وأكمل من

١ - ص ١٥٥ .

٢ - آئينة كالات إسلام، ص ٣٤٦ .

٣ - المصدر ص ٣٤٤ .

٤ - ص ١٨٠ .

تلك الأعوام بل كالدر التام، ولذلك لا نحتاج إلى الحسام ولا إلى حزب من المحاربين»^١.

التفوق على الأنبياء: ولم يقتصر المرزا على النبوء بل جاء في كتبه وكلامه ما يشعر بتفوقه على أكثر الأنبياء وجمعه لما تفرق في أنبياء كثيرين، وقد جاء في الجزء الخامس من «براهين أحمدية»: «لقد أعطيت نصيباً من جميع الحوادث والصفات التي كانت لجميع الأنبياء سواء كانوا من بني إسرائيل أو من بني إسماعيل، وما من نبي إلا أوتيت قسطاً من أحواله أو حوادثه»^٢. ويقول: «لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد ولأنني ذلك الرجل»^٣.

بل قد جاء في كلامه ما يصرح بتفوقه على النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه يعتقد أن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم إنما تجلت في عصره بصفات إجمالية، ولم تكن الروحانيات قد بلغت غايتها وأوجها بعد في ذلك «العهد القاصر» بل كانت الخطوة الأولى في

١ - ص ١٨١ - ١٨٢.

٢ - ص ٨٩.

٣ - المصدر ص ٩٠.

سبيل ارتقاها وكالها، ثم تجلت هذه الروحانية في القرن العشرين في شخص غلام أحمد في أبهى حللها وأرقى مظاهرها. وهنا نص عبارة، بعريته التي يسميها «الخطبة الإلهامية»:

«فكذلك طلعت روحانية نبينا صلى الله عليه وسلم في الألف الخامس^١ باجمال صفاتها، وما كان ذلك الزمان مفتى ترقياتها، بل كانت قدماً أولى لمعارج كالاتها، ثم كملت وتجلت تلك الروحانية في آخر الألف السادس أعنى في هذا الحين، كما خلق آدم في آخر اليوم السادس باذن الله أحسن الخالقين، واتخذت روحانية نبينا خير الرسل مظهراً من أمته لتبلغ كمال ظهورها وغلبة نورها، كما كان وعد الله في الكتاب المبين، فأنا ذلك المظهر الموعود والنور المعهود^٢».

وينشد متطاولاً على النبي صلى الله عليه وسلم:

له خسف القمر المنير، وإن لي * غسا القمران المشرقان، أ تنكر؟^٣

١ - عمر الدنيا عده سبعة آلاف سنة والقرن السادس المسيحي الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم من الألف الخامس والقرن التاسع عشر أو العشرون الذي هو عصر المرزا غلام أحمد هو من الألف السادس.

٢ - الخطبة الإلهامية، ص ١٧٧ - ١٧٨.

٣ - إعجاز أحدي، ص ٧١.

وقد جاء في ملحق حقيقة الوحي «وآتاني ما لم يوث أحدًا من العالمين»^١.

لقد كان هذا أساساً صالحاً يرفع عليه الخلقاء بناءً شامخاً—
 شأن الطوائف والنحل— ويصبح كثير منهم يفضّلونه على أكثر
 الأنبياء بصراحة وما تخفى صدورهم أكبر. فقد جاء في «حقيقة
 النبوة» للرضا بشير الدين محمود الخليفة الثاني: «إن غلام أحمد أفضل
 من بعض أولى العزم من الرسل»^٢. وفي صحيفة الفضل «إنه كان
 أفضل من كثير من الأنبياء ويجوز أن يكون أفضل من جميع
 الأنبياء»^٣.

تطرقاته: وازداد المرزا تطرفاً في الدعاوى، فادعى أنه عين
 محمد صلى الله عليه وسلم^٤. ومن أقواله المأثورة: «من فرق بيني
 وبين المصطفى فإعرفني وما رأي»^٥.

وادعى أنه مظهر لكرشن وأنه برز فيه وتجلي. وبما ادعى أنه

١ — ص ٨٧.

٢ — ص ٢٥٧.

٣ — المجلد الرابع عشر عدد ٢٩١، إبريل سنة ١٩٢٧ م.

٤ — نزول المسيح، ص ٣ على الهامش.

٥ — الخطبة الإلهامية، ص ١٧١.

ألهمه الله: «أنت منى بمنزلة ولدى»^١. وخطبه الله مرة بقوله
«إسمع ولدى»^٢. «يا قريا شمس، أنت منى وأنا منك»^٣. «أنت
منى وأنا منك، ظهورك ظهورى»^٤. «أنت منى مائتا وهم من
فشل»^٥. «يحمدك الله من عرشه ويمشى إليك»^٦.

ولقد اقصرنا على الالهامات التي نزلت بالعريية حتى لا نتهم
بالتقصير أو الخيانة في الترجمة. ومنها إلهامات ينجل القلم عن
سطرها ويتلعم اللسان في ذكرها من غروما يخص الجنسين —
الذكر والإناث — إلى الله تعالى. وقد ذكر أن الله أراد أن يوقع
مرة على صحيفة فضح الحبر الأحمر من القلم وبقي أثره على قيص
المرزا^٧.



- ١ — حقيقة الوحي، ص ٨٦.
- ٢ — البشرى، المجلد الأول، ص ٤٩.
- ٣ — حقيقة الوحي ص ٧٤.
- ٤ — التذكرة ص ٦٥٠.
- ٥ — انجم آتيم، ص ٥٥.
- ٦ — انجم آتيم، ص ٥٥.
- ٧ — تزيان القلوب ص ٣٣ وحقيقة الوحي ص ٢٥٥.

الباب الثالث

القادياني في الميزان

الفصل الأول

(حياته ومعيشته)

في فجر الحياة : لقد بدأ المرزا غلام أحمد حياته في شظف من العيش وبؤس وفقر لا يطمع في جنيه شهريا . ولا يهمه بعد وفاة أبيه إلا خبزه ومائدته ، كما صرح بنفسه ،^١ لا يلفت نظراً ولا يسترعى انتباهاً ، يعيش في الخمول والفقر خمساً وعشرين سنة^٢ كأنه دفين مجهول في قبر مجهول ،^٣ حتى ظهر كنؤلف ومدافع عن الاسلام ، ثم كداعية وزعيم روحى ، ثم في مظهر « المسيح الموعود » ، ثم في المظهر الأخير الذى تحدثنا عنه فى الفصول السابقة . فدوت له البلاد وطلت حصانه وأقبلت عليه الدنيا وانهاالت عليه الهدايا ، وأغدقت

١ - نزول المسيح ، ص ١١٨ .

٢ - براهمين أحديه ، ج ٥ ، ص ٥٩ .

٣ - تنه حقيقه الوحى ، ص ٢٨ .

عليه الأموال. وكان كل ذلك - كما لا يخفى - عن طريق الدين والزعامة الدينية، وبعاطفة دينية ومن جيوب الفقراء وأوساط الناس. فما كان موقفه إزاء هذه الفتوح وهذه الأموال، وكيف كان بعد ما أقبلت الدنيا عليه؟

أسوة الدعاة ورجال الدين في الاسلام: لقد راثينا الدعاة المخلصين وعباد الله الصالحين من أتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في كل قرن من قرون الاسلام وفي كل دور من أدوار تاريخ الدعوة والجهاد، لم يزدحم إقبال الدنيا عليهم إلا زهادة وفقراً وإيثاراً للآخرة. وكان شعارهم في حياتهم مقالة نبيهم صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»^١ وقوله عليه الصلاة والسلام: «مالي وللدنيا، وما أنا والدنيا، إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^٢. ومنهم من لم تمل به الدنيا عن الزهد والقناعة والتعفف في الحياة، ولم تسنوه غنائم القارتين إفريقية وآسيا، وخزائن الامبراطورين كسرى وقيصر، «يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة

١ - رواه البخارى .

٢ - رواه أحمد والترمذى .

طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ،
ومن الطعام ما جشِب .^١ ويتجمل التاريخ الانساني بأخبار زهد عمر
بن عبدالعزيز^٢ ، وتكشف صلاح الدين الأيوبي ، وناصر الدين محمود ،
وأورنك زيب عالمكير من الملوك الكبار ، فضلا عن زهاد هذه
الامة . وقد كان في عصر المرزا غلام أحمد - العصر الأخير - من
الدعاة والعلماء والشيوخ من تأتيه الأموال الطائلة والهدايا الكثيرة
فيقسمها على الفقراء والمساكين ويحتزىء بطعام جشِب أو خبز
قفار . ومنهم من لا يطيق النوم إذا كان في بيته فضل من مال أو
بقية من ذهب وفضة . وأسماؤهم أكثر من أن تحصى وأخبارهم
أعظم من أن تستقصى .^٢

من دلائل النبوة : وكانت هذه الحياة الزاهدة وكانت هذه
الاستقامة ووحدة الحياة في الفقر والغنى ، والضعف والقوة برهانا
على صدق النبوة المحمدية عند المرزا غلام أحمد نفسه ، يقول في
« براهين أحمدية » :

١ - من وصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه « صفة الصفوة » لابن
الجوزي .

٢ - اقرأ الجزء الثامن من نزهة الخواطر للسيد عبد الحى الحننى طبع دائرة المعارف
حيدرآباد .

«ولما انتصر الاسلام بعد مدة مديدة وكان الاسلام في إقبال وتقدم، لم يقن رسول الله مالا ولم يدخر كنزاً، ولم يرفع بناءً، ولم يشد قصرًا، ولم يمل إلى ترف أو بذخ، ولم ينتفع بما آناه الله من مال أو جاه، بل أنفق كل ما جاءه على اليتامى والمساكين والآيامى والمديونين وما شبع من طعام قط»^٢.

صاحب دعوة أو زعيم سياسى ؟ : ورجع ونحن نحمل هذا المصباح الذى أعطانا المرزا نفسه وندخل فى حياته بعد انتشار دعوته ونفاذ كلمته فنرى فرقا واسعا بين حياته الأولى وبين حياته الآخرة، ونراه أشبه بالزعماء السياسيين منهم بأصحاب الدعوة الدينية فضلا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذه فضلا عن الأنبياء والمرسلين حتى يثير ذلك نقاشا بين صفوة أصحابه وتلاميذه دعوته .

الحياة المنزلية : هذا هو الخواجه كمال الدين الداعية الاسلامى المشهور الذى عرفته اوربا يشكو به وحزنه إلى صديقه الأستاذ محمد على اللاهورى أمير الجماعة الاحمدية اللاهورية والشيخ سرور شاه القاديانى وهم فى رحلة :

«كنا نحث نساتنا وبناتنا على اقتداء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونسائه في الزهد والقناعة، فانهم كانوا يلبسون الخشن ويأكلون الجشب ويوفرون من أموالهم ما كانوا ينفقونه في مصالح المسلمين. وكنا بهذه المواعظ والتحريضات نقتطع من أموالنا ما نرسله إلى قاديان، ولكن لما سافرت أزواجنا وبناتنا إلى قاديان، وبقين هناك مدة يرين كيف تعيش السيدات هناك، ثرن علينا وكذبنا، وقلن: لقد رأينا كيف يعيش النبي وأصحابه وزوجاته في قاديان، إن النعيم الذي يعيشون فيه، وإن البذخ الذي يسود هناك لا تتمتع به ولا يبلغ عيشنا معشاره، مع أن أموالنا من كسب أيدينا وما يأتيهم من المال هو للأمة وللأغراض الاجتماعية، وأنتم خدعتمونا وكذبتم علينا، ولكننا لا نتخذه بعد اليوم. وقد منعن المال الذي كن يعطين إياه لمرسله إلى قاديان»^١.

وذكر الخواجه كمال الدين بعض القماش والحلى الذي اشتراه المرزا لزوجته وبناته^٢.

واعترض الدكتور عبد الحكيم - وهو قادياني يومئذ - على

١ - كشف الاختلاف للشيخ مرور شاه القادياني ص ١٣.

٢ - أيضاً.

تصرفات المرزا الحرة في أموال المسلمين، وذكر أنه يكتب ويجمع الاعانات لطبع الكتب ويستحصل الأموال من أتباعه بأنواع من الحيل وينفقها كيف يشاء.^١

حياة مترفة: وقد قال الخواجه كمال الدين مرة لمحمد علي «إن من الظلم المبين أن هذا المال الذي يكتسبه فقراء المسلمين بكد الجبين وعرق الجبين ويشحون به على نفوسهم وبطونهم لينفق في المصلحة الاجتماعية يضيع في الشهوات والأغراض».^٢

جاءت المرزا في اليوم الأخير من حياته، رسالة من الأستاذ محمد علي - مترجم القرآن بالانجليزية - يسأل فيها عن المال الكبير الذي يجني ولا ينفق منه على الضيوف والمطبخ العام إلا القليل، فغضب المرزا وقال: إنهم يرونني بأكل السحت وأكل أموال المسلمين ما لهم ولهذه الأموال فأنى إذا اعتزلت انقطعت هذه الأموال وتوقفت الاعانات.^٣

١ - الذكر الحكيم للدكتور عبد الحكيم ص ٣، ٥، ٨، ١٠، ١١، ٢٥، ٤٠، ٤٣

٨٢، ٨٤.

٢ - كشف الاختلاف ص ١٥.

٣ - رسالة المرزا بشير الدين محمود إلى الحكيم نور الدين في كتاب حقيقة الاختلاف ص ٥٠.

وقال الخواجه كمال الدين محمد على مرة «إن حضرة المرزا يحثنا على التوفير والانفاق في سبيل الدعوة وهو يعيش في بذخ وترَف». فقال له محمد على: إننى لا أستطيع أن أنكر هذا ولكن لا يلزمنا أن نتبع النبي في بشريته^١.

الحياة في مركز الدعوة «الربوة»: وإذا كان هذا في حياة مؤسس الدعوة، فما ظنك بعدها؟ لقد أصبحت «قاديان»، وخليفها «الربوة»، إمارة روجية مادية مستقلة يجتمع فيه الاستبداد والاستهتار، والقساوة والدعارة. يعيش فيها «الخليفة»، وخاصته عيش الملوك والباطرة في العهد القديم والباباوات في القرون الوسطى المسيحية. وتصبح هذه الإمارة الروحية - التي تأسست على دعوة دينية وزعامة روحية ماخورة واسعة تتحكم فيها الدكتاتورية الدينية والشهوانية العاتية وتشبه قلعة «الموت»، في عهد الحسن الصباح الاسماعيلي. اكتب هذه السطور في لاهور وأنا أسمع كل يوم الروايات التي تشبه أساطير ألف ليلة وليلة والقصص التي يندى لها الجبين حياءاً ويحار العقل في تصديقها وهي من الثقافات الذين

١ - رسالة المرزا بشير الدين محمود إلى الحكيم نور الدين في حقيقة الاختلاف

لا يشك في صدقهم وعدلهم، وقد أصبحت خبراً مشاعاً وحديث النوادي^١ ويكنى القارى أن يقرأ كلمة الأستاذ عبد الرحمن المصرى^٢ مدير كلية تعليم الاسلام في قاديان ومن كبار علماء الجماعة القاديانية التى سجلها قاضى محكمة الاستئناف فى لاهور المستر اسكامپ (W. Scamp) فى حكمه الذى أصدره فى يوم ٢٣ من سبتمبر ١٩٣٨ م :

« إن الخليفة الحالى المرزا بشيرالدين محمود من كبار الفساق، إنه يتصيد الفتيات فى ستر من الزعامة الدينية، وله وكلاء وسفاسرة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب الغر وقد أسس لهذا الغرض ناويا سريا، من أعضائه الرجال والنساء يفسق فيه » .



١ - ومن أراد التوسع فى ذلك فعليه بكتاب « عصر حاضر كا مذهبي آمر » (دكتاتور العصر الحاضر الدينى) .

٢ - أسلم هذا الرجل على يد بعض القاديانيين ونشأ فى حضانتهم وتعلم فى مصر وحاز ثقة جماعته حتى كان يستخلفه المرزا بشير الدين فى امامة الصلوة . ثم اطلع على أسرار هؤلاء الماسونيين فثار عليهم وألف لجنة من اثوار كان رئيسها .

الفصل الثاني

(مظاهرة الحكومة الانجليزية وإلغاء الجهاد)

الدور الذي مثله بريطانيا والانجليز في الشرق: غزت أوروبا الشرق الاسلامي في القرن التاسع عشر وبسطت سلطتها على الأقطار الاسلامية وكان في مقدمتها «بريطانيا العظمى» التي تولت كبر هذا الزحف والهجوم السياسي والمادي واستولت على الهند ومصر وعاكست الدولة العثمانية وتأمرت عليها وقعدت لها بالمرصاد، تساعد منافساتها من الدول، وتحرض عليها، وبدأت تنسرب في الجزيرة العربية وتبذر فيها بذور الفساد.

هذا وقد أصبحت ميطرة على الهند الاسلامية وأصبحت الحكومة المغولية التيمورية—وهي الدولة المسلمة الأخيرة—أسيرة أو رهينة في يدها، تنصرف في ممتلكاتها تصرف السلطان الحر. وقارمها الملك الشهم الابي السلطان تيبو فسقط في المعركة شهيداً عام ١٧٩٩م وانبت القسوس والرهبان في الهند يدعون المسلمين—بصفة خاصة—إلى المسيحية ويسخرون من الدين الاسلامي ومبادئه

وتعاليمه. وانتشر الفساد والخلاعة، وغزت الحضارة الأوربية
 يوت المسلمين وبدا الاتحاد، وثار المسلمون - ومعهم المواطنون
 الأحرار - على الانجليز عام ١٨٥٧ م وانضم إلى هذا المعسكر كل
 من في قلبه ذرة من إيمان أو جرة من غيرة. وانتصر الانجليز -
 بدهائهم وحسن نظامهم وقوة عزمهم - فانتقموا من أهل البلاد
 ومن المسلمين خاصة إنتقاماً شديداً وكانوا مصداق قوله تعالى «إن
 الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة». ولم
 يكن الانجليز طغاة ظالمين وملوكاً مستبدين بحسب بل كانوا رسل
 الفساد والاتحاد والخلاعة والاباحية وكانوا حملة لواء الاستعمار
 والاستهتار والثورة على القيم الروحية والخلقية التي جاء بها الأنبياء
 ونزلت بها الصحف، وكانوا مغيرين على العالم الاسلامي وزعماء
 الاستعمار الأوربي السياسي والثقافي والخلقي.

سيرة الأنبياء وخلفائهم: لقد عرفنا من سيرة الأنبياء وخلفائهم
 أنهم كانوا دائماً حرباً على الظالمين والمجرمين، بعيدين عن تائبهم
 ومساعدتهم. وقد قال موسى عليه السلام: «رب بما أنعمت على فلن
 أكون ظهيراً للمجرمين»، ودعا على فرعون عصره ومصره بقوله:
 «ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا،

ربنا ليضلوا عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يرووا العذاب الأليم». وقال تعالى مخاطباً للمؤمنين: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون». وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». وأسوة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وخلفائه — من العلماء الربانيين والدعاة المخلصين — معلومة مسجلة في التاريخ، والحديث يطول.

دعوة إلى تأييد الانجليز وإلغاء الجهاد: ولكن بالعكس من وصايا القرآن الواضحة وروح الدين الاسلامي، وبالعكس من أسوة الأنبياء والمرسلين، وأصحابهم وخلفائهم الصادقين، وبضد آية «إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا» التي يطبقها المرزا على نفسه، نرى المرزا غلام أحمد — الذي يدعي أنه مأمور من الله ومرسل من عنده — يمدح أكبر فراعنة تصره — الانجليز — ويحرص على تأييد الحكومة الغاشمة الظالمة التي اغتصبت المملكة الاسلامية وأغارت على العالم الاسلامي وحملت رؤية الفساد والاحاد وصادرت الأوقاف الاسلامية وقتلت الأبرياء والصفوة المختارة من العلماء، نراه يحرص على تأييد هذه الحكومة ويتعلقها

في أسلوب سافر يترفع عنه كل صاحب ضمير ومبدأ فضلاً عن الدعاة، فضلاً عن خلفاء الأنبياء، فضلاً عن الأنبياء أنفسهم، ونراه يُعنى بهذا الموضوع في بقطة ودقة من مبدأ أمره. فراه في مؤلفه الأول «براهين أحمدية» يعدّ حسنات هذه الحكومة ومنها، ويبحث الجمعيات الإسلامية على ترتيب وثيقة يوقع عليها العلماء ورجال الدين ويفتون بإلغاء الجهاد وتقدم هذه الوثيقة إلى الحكومة. ثم نراه لا يضع فرصة ولا مناسبة للثناء العاطر على هذه الحكومة ولا ينسى — مع أنه كثير النسيان والغفلة — قضية الجهاد ووجوب نسخه وإلغائه ونشر ذلك في الهند وفي الأقطار الإسلامية.

خدمات المرزا في تأييد الحكومة الانجليزية: وإلى القارى بعض الأمثلة من هذه المكتبة الواسعة في موضوع تأييد الحكومة الانجليزية وإلغاء الجهاد — الذى كان المسلمون في حاجة ملحة إلى إحيائه والدعوة إليه ليتحرروا من نير الحكم الأجنبي ويتخلصوا من هذا السرطان الانجليزي الذى امتد في جسم العالم الاسلامى، يقول في كتابه «ترياق القلوب»، ص ١٥:

«لقد قضيت معظم عمرى في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها

وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر «الانجليز» من الكتب والاعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض ملأ خمسين خزانة. وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا، وكان هـدفى دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التى تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحقى .

وقال فى آخر كتابه «شهادة القرآن» إن عقيدتى التى أكررها أن للإسلام جزئين: الجزء الأول إطاعة الله والجزء الثانى إطاعة الحكومة التى بسطت الأمن وآوتنا فى ظلها من الظالمين، وهى الحكومة البريطانية^١.

ويقول فى رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة عام ١٨٩٨ م: «لقد ظللت منذ حداثة سنى وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلسانى وقلبى لأصرف قلوب المسلمين إلى الاخلاص للحكومة الانجليزية والنصح لها والعطف عليها، وألغى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالهم والتى تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة، وأرى أن

١ - ملحق شهادة القرآن .

كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وأحدثت تحولا في مئات
آلاف منهم^١.

وقال في محل آخر:

«لقد ألقت عشرات من الكتب العربية والفارسية والأردية
أثبتت فيها أنه لا محل للجihad اصلا ضد الحكومة الانجليزية التي
أحسنّت إلينا، بل بالعكس من ذلك يجب على كل مسلم أن يطيع
هذه الحكومة بكل إخلاص، وقد انفتحت على طبع هذه الكتب
أموالا كبيرة وأرسلتها إلى البلاد الإسلامية، وأنا عارف أن هذه
الكتب قد أثرت تأثيراً عظيماً في أهل هذه البلاد (الهند). وقد
كوّن اتباعي جماعة تفيض قلوبهم لإخلاصاً لهذه الحكومة والنصح
لها - إنهم على جانب عظيم من الإخلاص، وأنا أعتقد أنهم بركة
لهذه البلاد ومخلصون لهذه الحكومة ومتفانون في خدمتها»^٢.

ويقول في محل آخر: «لقد نشرت خمسين ألف كتاب ورسالة
وإعلان في هذه البلاد وفي البلاد الإسلامية، تفيد أن الحكومة
الانكليزية صاحبة الفضل والمنة على المسلمين. فيجب على كل مسلم

١ - نبليغ رسالت المجلد السابع ص ١٠، تأليف قاسم على القادياني.

٢ - من رسالة مقدمة إلى الحكومة الانجليزية بقلم المرزا غلام أحمد.

ان يطبع هذه الحكومة إطاعة صادقة. وقد ألفت هذه الكتب في اللغات الأردوية والعربية والفارسية وأذعتها في أقطار العالم الاسلامي حتى وصلت وذاعت في البلدين المقدسين مكة والمدينة وفي الآستانة وبلاد الشام ومصر وافغانستان. وكان نتيجة ذلك أن أقلع ألوف من الناس عن فكرة الجهاد التي كانت من وحي العلماء الجامدين. وهذه مآثرة اتباعي بها، يعجز المسلمون في الهند أن ينافسون فيها.^١

وربما يخامر القارى الشك في دقة الترجمة العربية لأن النصوص في الأردوية مع أن الكاتب قد تحرى الاتقان والتدقيق والترجمة الحرفية. فلنقدم نصوصاً عربية بحرفها ولفظها. يقول في كتابه «نور الحق»:

«ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصحاءها ودواعي خيرها من قديم وجشائها في كل وقت بقلب صميم وكان لأبي عندها زلفى وخطاب التحسين، ولنا لدى هذه الدولة أيدي الخدمة. ولا نظن أن تنسها (كذا) في حين وكان والدى الميرزا

غلام مرتضى ابن الميرزا عطا محمد القادياني من نصحاء الدولة وذوى الخلة وعندها من ارباب القرية وكان يصدر على تكرمة العزة وكانت الدولة تعرفه غاية المعرفة وما كنا قط من ذوى الظنة بل ثبت لإخلاصنا فى أعين الناس كلهم وانكشف على الحاكين وتستطيع الدولة حكامها الذين جاؤنا ولبثوا بيننا، كيف عشنا أمام أعينهم وكيف سبقنا فى كل خدمة مع السابقين^١.

حرز للدولة وحسن لها: ويزداد صراحة ويعد خدماته السياسية الغالية للحكومة الانجليزية و وقعها وتأثيرها فيقول فى نفس هذا الكتاب:

«وما كان تألىفى فى العريضة إلا بمثل هذه الاغراض العظيمة ولم يخل تنساب العرييين كتيبى حتى رأيت فيهم آثار التأثير وجامنى بعض منهم وراسلتى بعض وبعضهم هجنوا وبعضهم صلحوا وواقفوا كالمسترشدين. وإنى صرفت زماناً طويلاً فى هذه الامدادات حتى مضت على إحدى عشر سنة فى شغل الاشاعات، وما كنت من القاصرين. فلى أن أدعى التفرد فى هذه الخدمات ولى أن أقول إتنى وحيد فى هذه التائيدات ولى أن أقول أنى حرز لها وحسن حافظ

من الآفات، وبشرني ربي وقال ما كان الله يعذبهم وأنت فيهم،
فليس للدولة نظيرى ومثيلى فى نصرى وعوفى ومستلم الدولة أن
كان من المتوسمين .^١

وأعتقد أن فى هذا بلاغا ومقنعا، ونختتم هذا الفصل بكلمتين
آخرين تلقيان الضوء على نيته وأهدافه وصلته بالحكومة الانجليزية.
يقول فى رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة الانجليزية فى اليوم
الرابع والعشرين من فبراير سنة ١٨٩٨ م:

من غرس الانجليز: «والمأمول من الحكومة أن تعامل هذه
الأسرة التى هى من غرس الانجليز أنفسهم ومن صنائعهم بكل حزم
واحتمياط وتحقيق ورعاية وتوصى رجال حكومتها أن تعاملنى وجماعتى
بعطف خاص ورعاية فائقة» .^٢

علة الحدة فى مناظرة القسوس: ويقول فى تعليل حدة قد تعتريه
فى الرد على بعض القسوس: «لقد غلا بعض القسوس والمبشرين فى
كتاباتهم وجاوزوا حد الاعتدال ووقعوا فى عرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وخفت على المسلمين الذين يعرفون بحماسة

١ - نور الحق ص ٣٣ و ٣٤ .

٢ - تبليغ رسالت اجماع السابع ص ١٩ = ٢٥ .

الدينية أن يكون لها رد فعل عنيف وأن ثور ثارتهم على الحكومة الانجليزية. ورأيت من المصلحة أن أقابل هذا الاعتداء بالاعتداء حتى تهدأ ثورة المسلمين وكان كذلك^١.

تحريم الجهاد في هذا العصر: أما الجهاد — الذي أقلق الانجليز وشغل خاطرهم — فأفتى بكل صراحة وقوة بحرمة في عصره، وكتبه وكتاباته طائفة بذلك والقليل من هذا الكثير أنه قال في كتابه «الأربعين»:

«لقد ألغى الجهاد في عصر المسيح الموعود إلغاءً باتاً». وقال في الخطبة الالهامية «لقد آن أن تفتح أبواب السماء وقد عطل الجهاد في الأرض وتوقفت الحروب، كما جاء في الأحاديث أن الجهاد للدين يحرم في عصر المسيح، فيحرم الجهاد من هذا اليوم وكل من يرفع السيف للدين ويقتل الكفار باسم الغزو والجهاد يكون عاصياً لله ولرسوله». ويقول في ترياق القلوب «إن الفرقة الإسلامية التي قلدني الله إمامتها وسيادتها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تنتظره بل إن الفرقة المباركة لا تستحل سرا كان أو علانية وتحرمه تحريماً باتاً^٢».

في سبيل الانجليز: وقد أمدت هذه الحركة وهذه الفئة الحكومة الانجليزية بخير جواسيس لمصالحها وأصدقاء أوفياء ومتطوعين متحمسين كانوا موضع ثقة الحكومة الانجليزية ومن خيار رجالها، خدموا الحكومة الانجليزية في الهند وخارج الهند وبذلوا نفوسهم ودمائهم في سبيلها بسخاء، كعبد اللطيف القادياني الذي كان في افغانستان يدعو إلى القاديانية وينكر على الجهاد. وخافت حكومة افغانستان أن تقضى دعوته على عاطفة الجهاد وروح الحرية التي يمتاز بها الشعب الأفغاني، فقتلته. كذلك الملا عبدالحليم والملا نورعلي القاديانيان عثرت الحكومة الافغانية عندهما على رسائل ووثائق تدل على أنهما وكيلان للحكومة الانجليزية وأنهما يدبران مؤامرة ضد الحكومة الافغانية. وكان جزاءهما القتل كما صرح بذلك وزير داخلية أفغانستان سنة ١٩٢٥ م. ونقل ذلك «الفضل» صحيفة القاديانيين الرسمية بسرور وإعجاب في ٣ مارس من ذلك العام.

موقف القاديانية إزاء العالم الاسلامي: وبقيت الجماعة القاديانية في عهد مؤسسها وبعده معتزلة عن جميع الحركات الوطنية وحركة التحرير والجلاء في الهند صامته بل شامسة لما دم العالم الاسلامي من رزايا ونكبات على يد المستعمرين الأوربيين، وعلى رأسهم

الانجليز مقتصرة على إثارة المناقشات الدينية والمباحثات حول موت المسيح وحياته ونزوله ونبوة الميرزا غلام أحمد، لا اتصال لها بالحياة العامة والمسائل الاسلامية والحركات التي كانت مظهراً للغيرة الاسلامية والشعور السياسي في هذه البلاد دائبة على الاخلاص للحكومة الانجليزية، حريصة على خدمة مصالحها السياسية، حتى اعتقد كثير من المفكرين والدارسين أن هذه الدعوة كانت من وحي الانجليز ووليد السياسة الانجليزية وغرسها، ولذلك كان الدكتور محمد إقبال مصيباً في رأيه عن الميرزا غلام أحمد وجماعته في شعره السائر « إنه يتحدث عن مقام الأولياء والعظماء وإنما كان مريداً مخلصاً للسادة الانجليز، إنه يعتقد أن بهاء الاسلام ومجده في حياة العبودية وأن سعادة المسلمين في أن لا يزالوا محكومين، أذلاء، انه كان يعد حكومة الأجانب رحمة إلهية، لقد رقص الرجل حول الكنيسة ومضى لسبيله » .



الفصل الثالث

(البذاءة والافتداع)

من أخلاق الأنبياء وخلفائهم عفة اللسان

الذى استفاض وتواتر من أخلاق الأنبياء وخلفائهم والتابعين لهم باحسان عفة اللسان وطهارة القول وشدة الاحتمال والصبر على الأذى . وقد قال الصحابة رضى الله عنهم : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صحابا في الأسواق^١ . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس المؤمن بالطعان ولا باللامان ولا الفاحش ولا البذى^٢ . وذكر عن عيسى بن مريم - صلوات الله عليه - أنه كان لا يمر بملاً من بني إسرائيل إلا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً ، فقال له شمعون الصفا : ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شراً أسمعتهم خيراً . فقال : كل امرئ ينفق بما عنده . والأخبار والآثار في ذلك أكثر من أن تحصى والمطلع على كتب السيرة والتاريخ يعلم ذلك بداهة

١ - رواه الترمذى .

٢ - ايضاً .

واضطراباً.

سلطة اللسان وبذاءة القول في حياة القادياني: أما المرزا فكان سليطاً طويل اللسان هجّاءاً مقدّماً للخالفين والعلماء المعاصرين وعباد الله الصالحين، وكان مصداق صفة المناق التي جاءت في الأحاديث الصحاح «وإذا خاصم فجره»^١.

أمثلة من الهجاء والبذاءة: ولما كان الهجاء والتعريض والتهكم تصعب ترجمته إلى لغة أخرى، وإنه من أدق الأساليب اللغوية، آثرنا أن ننقل هنا شيئاً يسيراً من كتاباته ورسائله العربية على ركاكة عبارتها وتكلفها.

يقول في رسالة وجهها إلى علماء الهند وشيوخها الكبار:

«نعب علينا كل ذى أعور ذى غواية، ونعق علينا كل ابن داية محروم عن دراية، وعوى كل خليع خليع الرسن، ونبح كل كلب ولو كان كاليفن، فإذا قمنا كانوا مديد الوسن أو كانوا من الميتين.

١ - تمام الحديث، عن عبدالله ابن عمر بن العاص رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوتى عناء، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر - متفق عليه.

لما رأى التونكي خلاصته انضرى ٥ فزوا وولوا الدبر كالمشور
 إن يشتموا فلقد نزع ثيابهم ٥ وتركهم كالميت المنكر^١
 وسمى جماعة هي الصفوة المختارة في الهند في عصره علما وصلاحا
 واستقامة، وأعلامها، وما ذنبهم إلا أنهم مخالفوه وردوا عليه. يقول
 مخاطباً للشيخ محمد حسن البتالوي: «فمنهم شيخك الضال الكاذب
 نذير المبشرين، ثم الدهلوي عبد الحق رئيس المتصوفين، ثم عبد الله
 التونكي ثم أحمد علي السهارنبوري من المقلدين ثم سلطان المتكبرين
 الذي أضاع دينه بالكبر والنوهين،^٢ ثم الحسن الأمروهي الذي
 أقبل على إقبال من لبس الصفاقة وخلع الصداقة وأعتقت أظفاره
 بعرضي كالذئب ومخبله بثوب كالكلاب، ونطق بكلم لا ينطق بمثله
 إلا شيطان لعين، وآخرهم الشيطان الاعمى والغول الاغوى يقال
 له رشيد الجنجوهي^٣ وهو شقي كالأمروهي ومن الملعونين»^٤
 ويقول عن مخالفيه عامة: «تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين
 المحبة والمودة ويتنفع من معارفها ويقبلي ويصدق دعوتي إلا ذرية

١ - ملحق بكتاب انجم آتم ص ١٥٨ . ٢ - يريد الالهانة .

٣ - انظر تراجم مؤلاء الاعلام في الجزء الثاني من نزعة الخواطر حتى تعرف مقدار جرائمه ووقوعه في عرض العلماء الريانيين وأولياء الله القبولين .

٤ - المكتوب العربي ملحق بكتاب انجم آتم، ص ٢٥٢ .

البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون^١.

أما الشعر الهجائي فقد برز فيه الاقتداع على خطبشة وابن الرومي إلا أنهما من الطبقة الأولى في البلاغة والأدب وهو ركيك الأسلوب ضعيف العربية كثير الأخطاء واللحن^٢. ومن أمثلة هذا الشعر الهجائي: إن العدى صاروا خنازير الفلا

نساؤهم من دونهن الأكلب^٣

ويقول عن العالم الكبير والشيخ الجليل مهر على الكولروي الجشي رحمه الله: فقلت لك الولايات يا أرض جورل لعنت بملعون فانت تدمر^٤

ويقول عن الشيخ سعد الله اللدهيانوى وقد رد عليه:

ومن اللثام أرى رجلا فاسقا ه غولا لعينا نطفة السفهاء
شكس خبيث مفسد ومزور ه نحس يسمى السعد في الجهلاء
آذيتنى خبثا فلست بصادق ه إن لم تمت بالخرى يا ابن بغاء
وأعتقد أن هذه النماذج تكفي لتصوير شخصيته ونفسيته،

١ - آئنة كالات اسلام، ص ٥٤٧، ٥٤٨.

٢ - راجع مکتوبه العربی الطویل فی آخر کتاب انجم آتہم، ونور الحق.

٣ - نجم الهدی، ص ١٥.

٤ - أعجاز إحدى، ص ٧٥.

ويستطيع الانسان أن يحكم هل رزق هذا الرجل نصيباً من أخلاق
أتباع الأنبياء والأشراف من الناس فضلاً عن الأنبياء أنفسهم
— صلوات الله وتحياته عليهم — وهل تتفق هذه السيرة مع المنصب
الذي كان يتظاهر به ويدعيه؟



الفصل الرابع

(نبوة لم تتحقق)

قصة طريفة: لقد أكثرنا في هذا الكتاب من الالهامات وأخيراً أوردنا أمثلة من الهجاء المقذع والكلام البذيء . لعل القارى استغل ذلك ودخلت عليه السامة والملل ، فلنقص عليه — ونحن في آخر الكتاب — قصة طريفة لولا أنها قصة داع وزعيم ديني ولولا أنها نبوة تحدى عليها العالم ، لكانت رواية غرامية تكون موضوع كتاب قصصى أو تمثيل خطبة لفنائة :

فى سنة ١٨٨٨م أخبر المرزا غلام أحمد أن الله أمره أن يخطب فناة اسمها «محمدى بيگم» بنت المرزا أحمد بيگ (وهو ابن خاله) فان قبل والده ذلك استحق الرحمة من الله والبركات العظيمة ، وإن رفض ساءت عاقبة الفناة ، وإن زوجها أبوها بشاب آخر مات هذا الشاب خلال عامين ونصف وأبوها خلال ثلاث سنوات ، وحل بهذه الأسرة ضيق وشدة واقتراق^١ . واعلن ذلك على رؤس

١ — إعلان المرزا غلام أحمد ، امن يوليو عام ١٨٨٨ .

الأشهاد وطبع هذا الاعلان و وزعه في الناس، وعبر ذلك —
 كما في «آنة كالات إسلام» — بالوحى النازل عليه^١.

وقال: «قد أنبأني الله أن كريمة المرزا أحمد يگ الكبرى
 (محمدي يگم) ستدخل في زواجك وأن أهلها سيعادونك ويمنعونها
 منك ويجهدون أن لا يتحقق ذلك، ولكن الله سيحقق وعده
 ويمنحها لك بكرآ كانت أو ثيبآ ويزيل العراقيل وينجز هذا العمل،
 ولا راد لما قضى الله»^٢.

نبوءة وتحذير: وكان بين سن الفتاة المخطوبة وسن المرزا تفاوت
 عظيم، فقد قال: «هذه المخطوبة جارية حديثة السن عذراء وكنت
 حينئذ جاوزت الخمسين»^٣.

لم يكن لنا شأن بهذه القضية، فانها قضية شخصية ومزلية.
 كثيرا ما يخطب الناس البنات ويرغبون في زواجهن وقد ينجحون
 وقد لا ينجحون، ولكنها نبوءة. وقد قال المرزا في بعض مؤلفاته
 «فليعلم المنكرون أنه ليس هنالك محك امتحاننا وميزان صدقنا

١ — ص ٥٥٢.

٢ — إزالة اومام ص ٣٩٦.

٣ — انتهى لفظه، آنة كالات اسلام، ص ٥٧٤.

وكذبنا أعظم من النبوءات»^١. وقد قال في محل آخر «إن النبوءات التي تعرض على المخالفين كالدعاوى ويتحدى عليها تكون مشرقة وبديهية ويتوجه الملهمون بها إلى الله ويتثبتون فيها ويقينونها حتى لا يبق فيها غموض أو إبهام»^٢.

وقد تحدى المرزا على هذه النبوءة مراراً وحزم بأنها وحي من الله وأنها متحققة لا محالة. وقد قال: وقد ألهمني الله «ويستلونك أحق هو؟ قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين، زوجنا كما لا مبدل لكلماتي، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» (انتهى بلفظه)^٣. وقال في الرسالة العربية التي وجهها إلى علماء الهند ومشايخ البلاد: «والقدر قدر مبهم من عند الرب العظيم وسيأتى وقته بفضل الله الكريم، فوالذي بعث لنا محمد المصطفى وجعله خير الرسل وخير الورى إن هذا حق فسوف ترى، وإنى أجعل هذا النبأ معياراً لصدقى وكذبى، وما قلت إلا بعد ما أثبتت من ربى»^٤. وقال فى إلهام آخر «كذبوا بآياتنا وكانوا بها يستهزئون، فسيكفيكم الله

١ - دافع الوسواس، ص ٢٨٨.

٢ - إزالة أرمهم، ص ٢٠٢.

٣ - آسمانى فيضله، ص ٤٠.

٤ - ص ٢٢٢.

ويردها إليك، لا تبديل لكلمات الله، إن ربك فعال لما يريد، أنت
معي وأنا معك، عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً. (اعلان
١٠ يولييه ١٨٨٨ م).

طلب برفض: فلنر هل تحققت هذه النبوءة العظيمة التي خاطر فيها
المرزا بكرامته وصدقه؟ لقد رفض أهل الفتاة هذا الطلب في صرامة
وجد، وعزموا على أن يزوجوها شاباً من أهل قرابتهم اسمه المرزا
سلطان محمد. وعرف ذلك المرزا، وكان الناس — من المسلمين
والمسيحيين والهندوس — قد تسامعوا هذه النبوءة، وكان المرزا أول
من أذاعها في الناس ونشرها في الصحف وسجلها في الكتب.
واستشرفوا لها، وكان المرزا يعتقد أن لا بأس أن يجتهد الرجل في
تحقيق نبوءة ووعد من الله ويسعى في ذلك. فكتب إلى والد الفتاة
أحمد بيك وهو ابن خاله وإلى أعضاء الأسرة رسائل رقيقة مزققة
يستعطف بها قلوبهم، ولجأ إلى الوعد والوعيد والاطماع والترهيب،
فلم يزدحم ذلك إلا عناداً وإصراراً. وعرف أن امرأة ابنه
فضل أحمد تخالفه في ذلك فأجبر ابنه على تطليقها وطلاقها، وعرف
أن ابنه سلطان أحمد يشايخ أعداءه ومنافسيه فهجره وحرمه الارث.^١

ووعده خال البنت جائزة إن منع الزواج بسultan محمد،^١ ولكن كل ذلك لم يؤثر ووقع المحذور وتزوج سلطان محمد الفتاة في اليوم السابع من أبريل سنة ١٨٩٢^٢ مع أن ألوفاً من أتباعه كانوا يدعون في المساجد لتحقيق هذه النبوة وتبشيص وجهه من آمنوا به .

معاكسة القدر للارزا: ولكن المرزا لم ييأس ولم يقطع الرجاء من تحقق هذه النبوة ولم يزل يتحدى على ذلك حتى قال حلفاء في المحكمة: « الواقع أن الفتاة لم تدخل في زواجي، ولكني سأزوجها كما جاء في النبوة ويندم المعارضون والشامتون ويطرقون رؤسهم جباءً وخجلاً، إن الفتاة لا تزال حية ترزق، وستدخل يوماً من الأيام في زواجي، وليس ذلك بأمل بل هو يقين لا شك فيه، إنها من أخبار الله ولا مبدل لكلمات الله.^٣ »

وعاش المرزا سلطان محمد وقد مضى عامان ونصف عام فكان جريراً عنه في بيته السائر:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً * أبشر بطول سلامة يا مربع
ورأى المرزا من المصلحة أن يوسع له في أجله، ولكنه لم يشك في

١ - سيرة المهدي، ص ١٧٤ . ٢ - آئنة كالات اسلام ٢١٣ .

٣ - والحكم، قاديان، المجلد الخامس رقم ٢٩، ١٠ من أغسطس ١٩٠١ م

تحقيق هذه النبوءة فقال « إنه قدر مبرم ، وقد جاء في الالهام ، لا تبديل لكلمات الله »^١.

ومرض المرزا مرة أشنى به على الموت وبدأ له أن النبوءة لم تتحقق فقد دنا أجله والفتاة متزوجة بمحمد سلطان ولا يزال بهيد الحياة . وكاد الشك يساوره في النبأ ولكن الله طمأنه وألهمه عند دنو الأجل : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين »^٢.

ولكن الأمنية لم تتحقق ، وسلطان محمد لم يمت بل عاش بعد المرزا زمنا طويلا مع زوجته وحضر الحرب الأولى وجرح وعاش رغم ذلك . أما المرزا فقد مات عام ١٩٠٨ كما سبق في ترجمته .

لابد من الانتظار : ولكن وفاة المرزا لم تضعف إيمان المؤمنين الراشدين بالمرزا ونبوءته . وقال الحكيم نور الدين : لو تزوج فتى من أولاد المرزا بفتاة من ذرية محمدى ييگم في عصر من العصور لتحقت هذه النبوءة^٣.

١ - تبلغ رسالت ، الجزء الثالث ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

٢ - ازالة اوهام ، ص ٣٩٨ .

٣ - وفاة المسيح الموعود ، مقالة للحكيم نور الدين في ريو اوف ريليجنز : المجلد السابع عدد ٦ ، ٧ شهر يونيو ويوليو ١٩٠٨ ، ص ٣٧٩ .

إن لارزا غلام أحمد نبوات تحدى عليها وجعلها معياراً لصدقه
وكذبه لم تتحقق، ولكتنا اخترنا هذه النبوءة لأهميتها وشهرتها
وطرافتها، ولأن تحديه عليها كان أعظم وعدم تحققها كان أشهر.



الباب الرابع

القاديانية في الميزان

الفصل الأول

(دين إزاء دين وأمة إزاء أمة)

قضية شاذة في التاريخ الاسلامي: لقد أخطأ وأغرق في التفاؤل من نظر إلى الديانة القاديانية كمقيدة شاذة من عقائد المسلمين وعاملها كطائفة إسلامية تنحرف عن الجادة وتفارق السواد الأعظم في عقيدة دينية. أو رأى علمي، أن قضية القاديانية تختلف عن ذلك إختلافاً واضحاً، إنها قضية شاذة من قضايا التاريخ الاسلامي، وإن أدق تعبير وأصحح عنها أنها دين إزاء دين وأمة إزاء أمة، وإن كان لها نظير في تاريخ الاسلام الطويل الواسع فهو في الباطنية والاسماعيلية منذ عهد مؤسسها ميمون القداح وابنه عبد الله ابن ميمون جد العبيدين.

الدين يشمل الحياة كلها: إن الدين ليس مجرد عقيدة وعمل،

ولكنه عقيدة وعمل، وعقيلة وعاطفة، وشعائر ومراكز روحية، وسلف وتاريخ وماض، وإن فيه رسالة وغذاءً وزاداً ومدداً لكل ناحية من هذه النواحي ولكل حاجة من هذه الحاجات التي لا يمكن أن يجرمها الإنسان الخي الواعي وتجرد منها الحياة. وكل دين من الأديان السماوية وكل نظام من النظم المادية التي توازي الدين وتنافسها تشغل هذه النواحي وتغذيها، فالمسيحية لها عقيدة معروفة، وعقيلة خاصة وعاطفة متميزة، وشعائر ومراكز روحية، وسلف وتاريخ وماض، والشيعية هكذا، لها عقيدتها وعقليتها وعواطفها، وشعائرها، ومراكزها، وسلفها، وتاريخها وهلم جرأً.

مزاحمة القاديانية للإسلام في الحياة: وإذا قسنا القاديانية بهذا المقياس وجدنا أنها - خصوصاً في طور شبابها ومجدها - أشبه بديانة مستقلة منها بطائفة أو مذهب أو مدرسة فكرية، إن فيها اتجاهات واضحة إلى شغل جميع نواحي الحياة الدينية وتغذيتها بغذائها الخاص، إنها تزاحم الإسلام - الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ومضت عليه هذا الأمة - في كل شيء وتريد أن تحل محله في العقيدة والفكر والعاطفة، وتستولي على نصيبه من الطائفة والحب والاحترام والتقدير، وتتجه بعاطفة من يدين بها وبقلبه وفكره

إلى هذه الديانة الجديدة ومنبعها ومركزها الروحي ، وتعوض كل ما تقطع عنه صلة أتباعها أو تضعف بطبيعة الحال بعوض من عندها ، بل تقلب تيار الحياة الروحية والفكرية من المركز الاسلامي القديم إلى مركز « الاسلام الجديد » .

مزاحمة في المقدسات والشعائر: وللوصول إلى هذا الغرض والنتيجة الطبعية ، أها تقارن بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبين رفقة غلام أحمد . فقد جاء في صحيفة الفضل القاديانية المجلد الخامس :

« لم يكن فرق بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذ المرزا غلام أحمد . إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية »^١ . وتشيد بفضل مدفن غلام أحمد ومساواته لمدفن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم ، وقد نشرت صحيفة « الفضل » وهي الصحيفة القاديانية الرسمية في عدد ١٨٤٨ من المجلد العاشر الصادر في ديسمبر ١٩٢٢ م إعلانا عن قسم التربية في قاديان : « إن الذي يزور قبة المسيح الموعود اليضاء يساهم في البركات التي تخص قبة النبي الخضراء في المدينة ، فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه هذا

التمتع في الحج الأكبر إلى قاديان .

ويعتقد القاديانيون أن قاديان هي ثالثة المقامات الثلاثة المقدسة ويقول المرزا بشير الدين محمود: «لقد قدس الله هذه المقامات الثلاثة (مكة والمدينة وقاديان) واختار هذه الثلاث بظهور تجلياته»^١ وقد طبق غلام أحمد نفسه ما نزل من الآيات في بلد الله الحرام والمسجد الأقصى المبارك على قاديان، فقد قال في حاشيته على «براهين أحمدية» إن قوله تعالى: «ومن دخله كان آمناً» يصدق على مسجد قاديان^٢، ويقول في بيت ترجمته بالعربية: «إن أرض قاديان تستحق الاحترام وإنها من هجوم الخلق أرض الحرم»^٣ وقال: «تحقق عندي أن الذي قلته في براهين أحمدية عن قاديان على طريق الكشف وأنها ذكرت في القرآن صحيح لا غبار عليه فانه من المؤكد أنها المراد بقوله تعالى: سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله... فالمراد بالمسجد الأقصى مسجد المسيح الموعود الواقع في قاديان»^٤.

١ - الفضل ٣ سبتمبر ١٩٣٥ م

٢ - براهين أحمدية، ج ٤، ص ٥٥٨.

٣ - در ثمين (مجموع كلمات غلام أحمد) ص ٥٢.

٤ - تذكره بنى الوحى المقدس، ص ٣٤٥.

وإذا كانت قاديان تناهض البلد الحرام وربما تفوقه فلا بد أن السفر إليها يساوى الحج بل يفوق عليه، وقد جاء في صحيفة «الفضل» المجلد العشرين عدد ٦٦: «الحج إلى قاديان حج ظلى إلى البيت الحرام». وزادت على ذلك «بنغام صلح» لسان حال الفرع اللاهورى فنشرت: «إن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب، لأن الحج إلى مكة اليوم لا يودى رسالته ولا يبنى بغرضه»^١.

وقد بدأ القاديانيون بعد المرزا يورخون بالشهور الجديدة التي تتصل بمحادث حياته. وهنا أسماء الشهور المقابلة للشهور الأفرنجية: الصلح، التبليغ، الأمان، الشهادة، الهجرة، الاحسان، الوفاء، الظهور، تبوك، الاخاء، النبوة، الفتح.

ترحيب القوميين الهنديين بالقاديانية: وقد رحب الهنادك الذين لم يزوالا يتعمون على المسلمين تعلق قلوبهم بالجزيرة العربية بصفتها مهد الاسلام ومنزل الوحي، وبالنبي العربي صلى الله عليه وسلم ويرون ذلك نقصاً في وطنيتهم ويقولون إنهم دائماً ينظرون إلى الخارج ويستمدون منه العاطفة الدينية والغذاء الايماني، قد رحب

هؤلاء الناقمون والوطنيون الغلاة بالديانة التي تنقل المركز الروحي والثقافي من الجزيرة العربية ومن الحرمين الشريفين إلى «قاديان»، وتركز الدين والعواطف الدينية وتحصرها في الهند وتفرض عليها القداسة واعتبروها انتصارا للوطنية الهندية على الاسلام الاجنبي وفرصة سانحة للنحول العظيم في تفكير المسلمين، وإلحادهم. ونقل هنا قطعة من مقالة لكاتب هندي نشرتها صحيفة هندكية في عددها الصادر في ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٢ ع :

«إن المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة، ولا يزالون يتغننون ببلاد العرب ويحنون إليها، ولواستطاعوا لأطلقوا على الهند اسم العرب. وفي هذا الظلام الحالك وفي هذا اليأس الشامل يظهر شعاع من نور يبعث الأمل في صدور الوطنيين، وهي حركة الاحمديين (القاديانيين). وكلما أقبل المسلمون إلى الاحدية نظروا إلى قاديان كمكة هذه البلاد والمركز الروحي العالمي وأصبحوا مخلصين للهند وقوميين بمعنى الكلمة. إن تقدم الحركة الاحمدية ضربة قاضية على الحضارة العربية والوحدة الاسلامية. وكل من اعتنق الاحمدية تغيرت وجهة نظره وضعفت صلته الروحية بمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك، وتنتقل الخلافة من

الجزيرة العربية وتركيا إلى قاديان في الهند، ولا تبقى لمكة والمدينة إلا حرمة تقليدية. إن كل أحدى سواء أ كان في البلاد العربية أو تركيا أو إيران أو في أى ناحية من نواحي العالم يستمد من القاديان القوة الروحية وتصبح قاديان أرض نجاة له، وفي ذلك سر بفضل الهند وهذا هو سر عدم ارتياح المسلمين إلى الحركة الأحمدية وقلعهم منها، لأنهم يعتقدون أن الحركة الأحمدية هي المنافسة للحضارة العربية والإسلام، ولذلك اعتزل الأحمديون عن حركة الخلافة لأنهم يحرصون على تأسيس الخلافة في قاديان مكان تركيا والجزيرة العربية، وإن كان هذا الواقع مقلقا للمسلمين الذين لا يزالون يحملون بالاتحاد الإسلامي وبالاتحاد العربي. ولكنه مصدر سرور وارتياح للوطنيين الهنديين^١.



١ - مقاله الدكتور شكري داس مهرا في صحيفة «بندے ماترم».

الفصل الثانى

(ثورة على النبوة المحمدية)

موهبة خص الله بها هذه الأمة: لقد كانت عقيدة أن الدين قد أكمل وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو آخر الانبياء وخاتم النبيين وأن رسالته هي الرسالة الاخيرة، موهبة خص الله بها هذه الأمة. ولذلك نظر إليها العالم اليهودى الذى تحدث مع أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رض بنبطلة عظيمة وحسرة كبيرة، وكان بعيد النظر فى قوله «آية فى كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً». يعنى قوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً». ولم يعارضه عمر رض فى جلالة هذه الآية وأهميتها، ولكنه نهه على أنه لا يحتاج إلى عيد جديد لأنها نزلت فى يوم عظيم وقال: «قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزل فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة»^١.

١ -- الجامع الصحيح للبخارى كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه .

الحارس من الفوضى الفكرية: لقد بقيت هذه العقيدة تحرس هذا الدين من غائلة المبتدعين وفئة المتنبيين والمنزعين وتحرس هذه الأمة من الفوضى الفكرية والدينية التي كانت الأمم السابقة والديانات السالفة فريستها. واستطاع هذا الدين واستطاعت هذه الأمة - بفضل هذه العقيدة - أن تقاوم الموامرات الدقيقة وتحمل الصدمات العنيفة، وبقيت وحدة في الدين والعقيدة لم تواجه ثورة داخلية أو اضطراباً فكرياً - إلا ما كان من الباطنية في العهد القديم - ولا تنقسم هذه الأمة في أمم، لكل وجهتها ولكل مركزها الروحي، ومصدرها العلي، والثغافي، ولكل تاريخ مفرد وماض مختلف.

ولقد كانت عقيدة ختم النبوة تمجيدا للنوع الانساني كذلك وإعلانا بأن النوع البشري قد بلغ سن الرشد والنبوغ وجاءت الرسالة الأخيرة، وأصبح المجتمع البشري في غنى عن وحي جديد ورسالة سماوية جديدة، فبعث ذلك في الانسان الثقة ببلوغه وكان ذلك حافزاً للانسان على التقدم في المدنية والاعتماد على العلم والتجربة في الحياة البومية، ولكن جاء المرزا وقال بصراحة «إن الروضة الانسانية كانت ناقصة فجئت وبلغت كمالها». وهكذا هدم

الماضي وأثار الشك في المستقبل

منافسة للنبوّة المحمدية: لقد شهد التاريخ الاسلامي محناً عظيمة وموامرات خطيرة ولكنه لم يشهد مثل هذه المحنة ومثل هذه المواقف. لقد كانت المحن القديمة ثورة على الحكم الاسلامي أو ثورة على الشريعة الاسلامة ولكن القاديانية كانت ثورة على النبوّة المحمدية وعلى خلود الرسالة الاسلامية وعلى وحدة هذه الأمة، وإنها تخطت الخط الأخير الذي يفصل هذه الأمة عن أمم أخرى والذي يعتبر كخط التحديد بين مملكتين. ولقد كان الدكتور محمد إقبال موقفاً وحكيماً في الحكم على القاديانية بأنها خطر على الاسلام وإنها ديانة مستقلة، قال رحمه الله في رسالة وجهها إلى كبرى صحف الهند الانجليزية استيتسمن (Statesman) التي أثارت مسألة القاديانيين قبل سنوات: «إن القاديانية محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم». ورداً على كلمة البندت جواهرلال نهرو رئيس وزراء الهند الحالي وقد تسائل: لماذا يباح المسلمون على فصل القاديانية من الاسلام وهي طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة؟ قال الدكتور:

« إن القاديانية تخت من أمة النبي العربي صلى الله عليه وسلم أمة جديدة للنبي الهندي ». وذكر أنها أشد خطراً على الحياة الاجتماعية للإسلام في الهند من عقائد اسفنوزا (Spinoza) الفيلسوف اليهودي الثائر على نظام اليهود.

ويقول في تفصيل من مقالته في استيتسمن التي سبق ذكرها:
 « إن عقيدة أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين هو العامل الذي يخطط خط التحديد (line of demarcation) بكل دقة بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى التي تشارك المسلمين في عقيدة التوحيد والموافقة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنها تقول باستمرار الوحي وبقاء النبوة كـ « برهمو سماج » في الهند، وهو الذي يستطيع به الإنسان أن يحكم على طائفة بالاتصال بالإسلام والانفصال عنه، ولا أعرف في التاريخ طائفة مسلمة اجترأت على تخطي هذا الخط. إن البهائية في إيران أنكرت عقيدة ختم النبوة ولكنها أعلنت بصراحة أنها طائفة مستقلة ليست مسلمة بمعنى الكلمة المصطلح ».

المجتمع الإسلامي قائم على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم:
 ويستمر قائلاً: « إننا نعتقد أن الإسلام دين أوحى الله به ولكن

وجود الاسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، وليس للقاديانية إلا أن يختاروا أحد الأمرين، إما أن يتبعوا البهائية في انفصالها من المسلمين وإما أن يتخلوا عن تفسيراتهم المنطرفة لفكرة ختم النبوة في الاسلام. إن تأويلاتهم السياسية لا تنم إلا عن حرصهم على البقاء في محيط المسلمين ليستغلوا هذا الاسم ويتنفعوا بفوائد سياسية لا تحصل إلا باسم المسلمين.

وقال في محل آخر: «إن كل مجتمع ينفصل عن الاسلام له تابع ديني يقوم على أساس نبوة جديدة ويعلن بكفر جميع المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة. يجب أن ينظر إليه المسلمون كخطر جدي لوحدة الاسلام (Integrity of Islam). إن نبوغ المجتمع الاسلامي لا يقوم إلا على عقيدة ختم النبوة».

المنبثون بعد غلام أحمد: لقد فتح المرزا غلام أحمد باب النبوة على مصراعيه وقال: «إن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم يمنح كالات النبوة وإن عنايته واهتمامه ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم»^١. وقال نبجله وخليفته المرزا بشير الدين محمود: «لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفذت، ما قدروا الله حق قدره، إنكم تتنازعون في نبي واحد

وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي (بعد محمد صلى الله عليه وسلم). . وقد أحدث ذلك فوضى في «النبوة» وفقدت كلمة «النبوة» جلالها وحرمتها وقداستها، وأصبحت العوبة وعيباً، وكثر المتنّبون في القاديانية ومُدعوا الإلهام، وقد عد منهم الأستاذ محمد إلياس البرنى إلى عام ١٣٥٥ سبعة، ولا شك أنه ليس إحصاءً دقيقاً وإنهم أكثر من هذا وإلى ازدياد مستمر.

التفريق بين المسلمين: وقد شعر بخطور فتح باب النبوة من جديد وتكفير من لا يؤمن بها الأستاذ محمد على اللاهورى الذى ظل مدة يؤمن بغلام أحمد كنبى ثم رجع عن ذلك وانتقد الفتنه القاديانية التى يزعمها بشير الدين انتقاداً شديداً، فقال:

«نشككم بالله، إن صح الاعتقاد بأن النبوة لم تنقطع وإن الأنبياء لا يزالون فى غدو ورواح إلى هذا العالم كما صرح بذلك محمود أحمد فى أنوار الخلافة، أفلا تزال هذه الطوائف التى تعد بالآلاف تكفر بعضها بعضاً، وتغيب الوحدة الإسلامية؟ نفرض أن هؤلاء الأنبياء يبعثون فى الجماعة الأحمدية (القاديانية) وحدها، أفلا تمزق بذلك الجماعة الأحمدية نفسها؟ إنكم لا تجهلون السنن

القديمة وتعرفون كيف كان الناس ينقسمون بين موافق ومعارض على مبعث نبي، إن الله الذي قد قضى بتوحيد شعوب العالم وأمه أ يمزق المسلمين ويقطعهم إرباً إرباً يكفر بعضهم بعضاً وتتور بينهم العلائق والصلات وتصبح الأخوة الاسلامية أثراً بعد عين؟ اعلّموا إذا كان الله قد وعد بأن يظهره على الدين كله وهو لا يخلف الميعاد فان الاسلام لا يتلى بهذه المحنة ولا يأتي يوم يفرد كل نبي بحزبه وتتوزع المسلمين دعوات مختلفة ورايات مختلفة ومراكز روحية مختلفة ويصبح كهنتها محتكرين بالايمان والنجاة ويكفرون سائر المسلمين^١.

وقد فتح المرزا باباً آخر للفساد والاضطراب والفوضى في التفكير الاسلامي والمجتمع الاسلامي، وهو أنه جعل «المكالمات والمخاطبات الالهية» شرطاً لصحة الديانة ونتيجة طبيعية للعمل بالأحكام الشرعية والعبادة. وقال في صراحة وقوة:

« أقسم بالله . إنني أشد الناس مقناً وتبرماً من دين لا يفتح على أتباعه — رغم عباداتهم وتضحياتهم — باباً للمعرفة الالهية، ولا يشرفهم بالمكالمات والمخاطبات. إنني أقسم بالله أنني أشد الناس

كراهة وازدراءاً لهذا الدين الذى لا يصلح لهذا، إننى لا أسميه الديانة الرحمانية بل أسميه «الديانة الشيطانية» وأومن أنه دين يهذى إلى جهنم ويعيش فيه الإنسان أعمى ويموت أعمى ويدفن أعمى .

إنه اشترط وأوجب للإنسان ما لم يشترطه الله ورسوله ولم توجهه الشريعة وما أنزل الله به من سلطان، وهكذا عسر هذا الدين الذى كان يسيراً وعملاً للبشر ومهد الطريق للدجالين والمشعوذين والمزعمين الذين يدعون الإلهام و«المخاطبات الإلهية»، ويسيطرون على عقول الناس وأموالهم ويجهلون الناس فى غير جهاد ويذلون قوتهم ومواهبهم فى ما لا ينفعهم فى الدين ولا فى الدنيا، وينصرفون عن محكمات الشريعة وواضحات الدين إلى ملهات ومبهات ومتاهات ومتناقضات تفسد عليهم الدين والدنيا، ويتسائل الإنسان هل كان عظماء الصحابة رضى الله عنهم تشرفوا بالمكالمات والمخاطبات الإلهية؟ وهل صح ذلك عنهم واستفاض؟ فإذا لم يكن ذلك ولم يرو عنهم فهل كانوا ناقصين فى دينهم محرومين من السعادة ومتبعين لدين يهذى إلى جهنم؟ أعاذهم الله من ذلك .

الفصل الثالث

﴿ الفرع اللاهورى وعقيدته وتفسيره ﴾

لقد تشبثت الطائفة القاديانية التى يتزعمها المرزا بشيرالدين محمود بعقيدة نبوة المرزا غلام أحمد فى صراحة وصرامة ، وحافظت عليها ودافعت عنها فى قوة وحماة ، ومها قیل عن شذوذها وتطرفها وبعدها عن الاسلام فانها تستحق أن توصف بالشجاعة وعدم النفاق، وعدم اللف والدوران .

موقف معقد : ولكن موقف الفرع اللاهورى - الذى يتزعمه « مولانا ، محمد على ، صاحب ترجمة القرآن الانجليزية والمؤلفات الكثيرة - موقف غريب يصعب فهمه . إن من درس مؤلفات المرزا - ولو ذراسة عابرة - اقنع وأمن بأنه يدعى النبوة ويصرح بها ويتحدى عليها ، ويكفر من لا يؤمن بها ، كما أسلفنا فى الفصول السابقة . هذا بما لا يتطرق إليه الشك ولا يسوغ فيه التأويل ، ولكن زعماء الفرع اللاهورى يلحون على أن المرزا لم يدع النبوة وكلها تعبيرات ومجازات ويكبرون فى ذلك اللغة

ويكبرون الواقع، ويلقبهم القاديانيون بالمنافقين لأنهم يحاولون الجمع بين العقيدة القاديانية والانتساب إلى مؤسسها وزعيمها وبين إرضاء الجماهير.

عتمدة محمد على اللاهوري: إن محمد على يلقب المرزا غلام احمد بمجدد القرن الرابع عشر والمصلح الأكبر، وزيادة على ذلك يعتقد أنه المسيح الموعود. وعلى ذلك تلتقى الطائفتان. وقد جاء في تفسيره ما يصرح بذلك، يقول في تفسير قوله تعالى «ورسولا إلى بني إسرائيل»: إن ابن مريم الذي أخبر الرسول بقدومه ليس معناه إلا أن يأتي أحد أفراد هذه الأمة في لون ابن مريم كما تحققت نبوءة عود إلياس بقدم يحيى في لونه^١.

ويلقب غلام احمد بمسيح هذه الأمة في كتابه «رد تكفير أهل قبلة»^٢، ويلقبه بالمسيح الموعود في عامة كتبه^٣.

الحاد في التاويل وتحريف في التفسير: ويغلب على محمد على اتجاه تفسير المعجزات والأمور الغيبية التي تتعلق بقدرة الله الواسعة

١ - بيان القرآن، ج ١ ص ٣١٧.

٢ - ص ٥.

٣ - انظر كتاب النبوة في الاسلام ومناظرة راولبندى.

بالأمور الطبيعية والحوادث العادية التي تتفق مع النواميس الطبيعية والتجارب اليومية، وهو يبالغ في ذلك ويفرق في التاويل ولو أبي ذلك اللغة الصريحة، واللفظ الصريح، وهو أسلوب لبق من أساليب إنكار المعجزات والأمور الغيبية والفرار من الإيمان بالغيب والاعتماد على قدرة الله وصفاته وأفعاله، والخضوع الزائد للقررات الطبيعية التي لا تزال في دور التحول والتطور، وهذا تفكير خطير على الاسلام ومعارضة للدين الذي يطلب الإيمان بالغيب، وهنا أمثلة من هذا التفسير.

أمثلة من التفسير:

١- إنه يفسر قوله تعالى في قضية طائفة من بني إسرائيل عبدت العجل وعاقبها الله بأن يقتل بعضها بعضاً «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم»: إن المراد بالقتل هنا امة الشهوات وهذا الذي أرجحه بناءً على السياق والسباق^١.

٢- ويقول في تفسير قوله تعالى «ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»: «المراد بالموت هنا زوال الحس يعنى إنه غشى عليهم وفقدوا الشعور حين أخذتهم الساعة ثم رد الله إليهم

الشعور فكان ذلك بمثابة لهم ، أو المراد زوال القوة العقلية ، يعنى كان اقتراحكم اقتراح جهل وضلالة ، فكنتم فى موت جاهلى ، أنقذكم الله منه ورزقكم الايمان على نسق قوله تعالى « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » وكقول الشاعر :

أخو العلم حى خالد بعد موته
و أوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يظن من الأحياء وهو رميم^١

٣- ويقول فى تفسير قوله تعالى « قتلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم » من معانى الضرب السير فى الأرض يقال ضرب فى الأرض يعنى سار^٢ ، ومن معانى العصا الجماعة وعصوت يعنى جمعت ويقال عن الخوارج شقوا عصا المسلمين ، ويقال إياك وقيل العصا^٣ ، والمراد أن الله أمر موسى بالمسير إلى جبل خاص ،

١ - بيان القرآن ، ج ١ ص ٦٦ .

٢ - بيان القرآن ، ج ١ ص ٦٩ .

٣ - بيان القرآن ، ج ١ ص ٦٩ .

والانتقال بجماعته إليه حيث وجد اثنتي عشرة عينا ضرب عليها ، فصائل بني إسرائيل خيامها واخيبتها .

٤- ويقول في تفسير قوله تعالى «ورفعنا فوقكم الطور» ليس المراد أن الله رفع هذا الجبل على رؤسهم مثل الظلة لا يستقر على الانتقال بجماعته اليه حيث وجد اثنتي عشرة عينا ضرب الأرض ، بل المعنى أنكم كنتم في المنخفض من الأرض وكان الجبل يطل عليكم كما جاء في البخاري فرفعت لنا الصخرة يعني ظهرت لأبصارنا.^٢

٥- ويقول في تفسير قوله تعالى «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» لم يمسخوا قردة ولكن مسخت قلوبهم وجعلت أخلاقهم كأخلاقها.^٣

٦- وقال في تفسير قوله تعالى «وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون» قتلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويربكم آياته لعلمكم تغفلون»: المراد بالمقتول هنا نبي

١ - بيان القرآن ، ج ١ ص ٧٠ .

٢ - بيان القرآن ، ج ١ ص ٧٤ .

٣ - بيان القرآن ، ج ١ ص ٧٥ .

اختلف في قتله ، ولم ينجح في قتله من حاول ذلك ، وذلك هو المسيح الذى حاول قتله اليهود ولم يقتلوه ونشأ في ذلك اختلاف . والضمير في قوله تعالى « اضربوه » يرجع إلى النفس ، فقد يكون ضميرها مذكراً بناءً على المعنى ، والضمير في قوله تعالى « يعضها » يرجع إلى فعل القتل يعنى اقتلوه بعض قتل أو لا تكملوا عليه فعل القتل ، وقد كان ذلك . فلم يجر عليه القتل المجهر وبقى على الصليب تلك ساعات ولم تكسر عظامه وأبقاه الله حياً أو أحياء الله بعد موته . ومعنى « ويرىكم آياته لعلكم تعقلون » يعنى إن المسيح الذى كان يظهر لكم موته قد أحياء الله ، لأنه كان غاية حياته إعلاء كلمة الله ، كذلك إذا تكفلم إعلاء كلمة الله خلاكم الله رغم أنكم أمة ميتة^١ .

٧ - وهكذا أول كلام المسيح في المهد لأنه يخالف التجربة والعادة الطبيعية . وأنكر أن المسيح ولد من غير أب ، وذكر أن عقيدة ولادة المسيح من غير أب ليست من عقائد الاسلام التى يجب الايمان بها وإنها من مبادئ المسيحية^٢ ، وإن مريم كانت

١ - بيان القرآن ، ج ١ ص ٧٩ .

٢ - بيان القرآن ، ج ١ ص ٣١٣ .

- متزوجة يوسف النجار وإن المسيح^٥ ولد بطريق عادى^١.
- ٨- وقال فى تفسير قوله تعالى «إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله»، إن المراد بالطير هنا - على طريق الاستعارة - رجال يستطيعون أن يرتفعوا من الأرض وما يتصل بها من أشياء وأخلاق ويطيروا إلى الله، فان الانسان يستطيع بنفخ النبي إلى أن يتجرد من الأفكار البشرية السافلة ويخلق فى عالم الروح^٢.
- ٩- والمراد باليد البيضاء التى أعطى موسى الحجة المبرهنة^٣ والمراد بالجلال والعصى فى قوله تعالى «فألقوا جبالهم وعصيتهم» الوسائل والحيل التى عملوها فى إحباط سعى موسى عليه السلام، والمراد أنهم لم يدخروا جهداً فى معارضة موسى، والعصا مجاز كقولهم «قرعه بعصا الملامة»^٤.
- ١٠- وفسر قوله تعالى «قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صيياً»: لقد كان عيسى ابن ثلاثين سنة فى ذلك الحين فاعتذروا

١ - بيان القرآن، ج ١ ص ٣١٤، ٣١٥.

٢ - بيان القرآن، ج ١ ص ٣٢١.

٣ - بيان القرآن، ج ٢ ص ٧٦٦.

٤ - بيان القرآن، ج ٢ ص ٧٦٨.

وقالوا: لقد ولد ونشأ بأعيننا وبمرأى ومسمع منا، وكل شاب صغير أمام الشيوخ الكبار لأنه ينشأ في أحضانهم ويكبر أمامهم.^١

١١- وقال في قوله تعالى «فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى»: قال بعض المفسرين اضرب البحر بعصاك ليصير لهم طريقاً، ولكنهم قد أبعدوا النجعة، وقال بعضهم: والمراد بالضرب إسراع في السير وتؤيده اللغة. وقد قيل «ضرب يعسوب الدين بذنبه» يعنى أسرع في الفرار من الفتن. وقد كان هذا الطريق الذى اختاره موسى طريقاً معبداً من قبل يسلكه الناس.^٢ فالمراد أسرع بينى إسرائيل على الطريق الموجود.

وقال في سورة الشعراء في قوله تعالى «اضرب بعصاك البحر»: يمكن أن يكون المراد به انطلق بعصاك في البحر، أو انطلق بجماعتك في البحر، وتؤيده آية سورة طه «فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً».^٣ ويمكن أن يكون المراد في قوله

٢- بيان القرآن، ج ٢ ص ١٢٤٤.

١- بيان القرآن، ج ٢ ص ١٢١٣.

١- بيان القرآن، ج ٢ ص ١٣٩١.

تعالى «فكان كل فرق كالطود العظيم» قطعة من الماء وأن يكون المراد كل فريق من بني إسرائيل ومن جنود فرعون، فترأوا للناظرين كالأطواد الشاخنة^١.

١٢- ويقول في تفسير قوله تعالى «فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته»: المراد بدابة الأرض هو رجبام ابن سليمان الذي تولى الملك بعده وفي عهده تضععت المملكة السليمانية واضطرب جبلها، وقد سمي بدابة الأرض لأنه كان قاصر النظر لا يجاوز نظره الأرض. وتنخر العصا كناية عن ضعف الحكومة وانقراضها. والمراد بالجن شعوب أجنبية بقيت في حكم بني إسرائيل إلى ذلك العهد^٢.

١٣- وفسر منطق الطير في قوله تعالى «وعلمنا منطق الطير»: حمل الطيور للرسائل من مكان إلى مكان كالحمام الزاجل^٣. وفسر وادى النمل بأنها موضع في نواحي اليمن، والنملة بطن من بطون العرب أو أمة كانت تسكن في وادى النملة^٤.

١- بيان القرآن، ج ٣ ص ١٣٩٢.

٢- بيان القرآن، ج ٣ ص ١٥٣٦.

٣- بيان القرآن، ج ٣ ص ١٤٠٩.

٤- بيان القرآن، ج ٣ ص ١٤١١.

١٤ - ويفسر قوله تعالى «ولسليمن الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها» بأن كانت الرياح مساعدة له وأنها كانت تسير السفن، أو المراد سير السفن وإن مراكبها الشراعية كانت تسير مسافة بعيدة^١. «ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر» يعني كانت السفن تقطع في غدو ورواح مسافة لا يقطعها الإنسان إلا في شهر^٢.

١٥ - وقال في قوله تعالى «وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين»: المراد بالهدهد إنسان كان يسمى الهدهد وكان رئيس البوليس السرى في حكومة سليمان، وقد جرت العادة بتسمية الرجال بالحيوانات والطيور كأسد وغيره في العرب وفوكس (fox) و وولف (wolf) في الانجليز وقد جاء في التوراة لإسم ابن هدد وهما متقاربان^٣.

١٦ - وقال في قوله تعالى «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك»: ليس محمولا على الحقيقة

١ - بيان القرآن، ج ٢ ص ١٣٧٨.

٢ - بيان القرآن، ج ٣ ص ١٥٣٤.

٣ - بيان القرآن، ج ٢ ص ١٤١٣.

بل هو مبالغته في السرعة، وقد كان بين العفريت والذي عنده علم من الكتاب مباراة، فكان العفريت - وهو الرجل الذي يخوض في أمر بخت وشدة، ويوصله إلى الكمال - مثلاً للقوة البدنية، وكان يحتاج إلى وقت أطول في إحضار هذا العرش، وكان صاحب العلم يستطيع أن يكمل مهمته في وقت قصير مع أنه لم يكن على جانب عظيم من قوة الجسم، والمقصود ترجيح العلم على القوة.^١

١٧- ويقول في قوله تعالى «فالتقمه الحوت وهو مليم، فلو لا أنه كان من المسبحين، لبث في بطنه إلى يوم يبعثون»: المراد أنه لو لم يكن من الدعاة إلى دين الله لالتقمه الحوت أو مات غرقاً ولبث في بطن البحر إلى يوم القيامة.^٢

١٨- والمراد بالجن في قوله تعالى «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن»: طائفة من البشر اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في الخفاء، وليس المراد به نفوس لا يقع عليها البصر، وقد جاؤا من الخارج وكانوا أجانِبَ وغرباء ولذلك سموا جناً.^٣

١- بيان القرآن ج ٣ ص ١٤١٦، ١٤١٧ ٢- أيضاً ج ٣ ص ١٥٩٠ ٣- أيضاً ج ٣ ص ١٧١١

١٩ - والمراد بذلك في قوله تعالى « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا »: يظهر أنهم كانوا نصارى وقد جاء ذكرهم على طريق النبوة، ويكون المراد شعوب مسيحية تبلغ الذروة في العظمة والرق فتصبح بذلك جناً وعفاريت وعباقر (في القوة والصنعة) ويؤمن بعض طوائفها بالقرآن^١.
تلاعب بالقرآن واللغة العربية: ونقتصر على هذه الطرائف التفسيرية التي تدل على عقليته واتجاهه وعلى فراده من كل ما يطلب الايمان بالغيب وبالقدرة الالهية التي وسعت كل شيء وعلى التلاعب باللغة ولفظ القرآن، وتدل دلالة واضحة على أن هذا الكتاب الذي نزل بلسان عربي مبين والذي وصفه الله باليسر والوضوح « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » لم يفهم منذ نزل، وبقي لغزة من الالغاز وسرا من الاسرار ثلاثة عشر قرناً، وكان من أبعد الناس عن فهمه وانجسهم نصيباً فيه هم الصحابة والسابقون الاولون الذين نزل بلغتهم وخاطبهم القرآن، وسلف هذه الأمة. وما هذه التفسيرات المتطرفة إلا نسخة صادقة لتفسيرات الباطنية

والاسماعيلية في العهد الماضي^١.

دعاية وتهريج: وقد شاع في الناس أن الفرع اللاهوري من أنشط الجمعيات والمؤسسات في نشر رسالة الاسلام في أوربا والدعوة الاسلامية، وقد أسلم عدد كبير من المسيحيين والمثقفين في إنكلترا وألمانيا وفرنسا، ولكن تحقق أن الدعاية أكثر وأعظم من الحقيقة، وأن العدد الذي أسلم ضئيل جداً، وكثير من هؤلاء المهتدين قد أسلبوا من قبل واستغل اسمهم وإسلامهم القديم دعاة الأحمدية، والباقي أكثرهم من المرضى والزمنى والعجائز والمريضات أو من الذين نبذهم المجتمع الأوروبي. وهنا نبذة من مقالة لكاتب مسلم «فضل كريم خان دراني» بالانجليزية قد سافر إلى لندن ١٩٣٤م:

«لا يوجد في عظماء الانجليز الذين أسلبوا من يرجع الفضل في إسلامه إلى «ووكنج مشن» (Woking Mission). وقد أعلن اللورد هدلي أنه درس الاسلام بنفسه واعتنق الاسلام، ولم أعرف على الخواجه كمال الدين إلا قبل إسلامي بأسبوعين

١ - راجع محاضراتنا في كلية الشريعة في جامعة دمشق، المحاضرة السابعة.

فقط . وقد أسلم المستر مارماديوك پكتهمال في مصر وبفضل
الأتراك والمصريين وتأثيرهم . وقد اعتنق سرارجيالد هملتن
(Archibald Hamilton) بضرورة عائلة . وهكذا إذا خضنا
وجدنا أن ووكنج مشن ، ليس لها في إسلام هؤلاء فضل
ولا نصيب^١ .

ويقول في نفس هذه المقالة :

«لست أدري كيف شاع في الهند أن جامع ووكنج من
بناء القاديانيين ، الواقع أن هذا الجامع إنما بنى بالمال الذي
تبرعت به إمارة بوفال الإسلامية . أما المسكن الذي بجوار
الجامع فهو في تذكّار وزير حيدر آباد المشهور
سرسالار جنگ ، وقد بنى كل ذلك تحت إشراف العالم الألماني
الدكتور لانتس . لقد أسكن المؤلف الإسلامي المشهور السيد
أمير على الخواجه كمال الدين في هذا الجامع ، وإلى الأول
يرجع الفضل في بقاء هذا الجامع مركزاً للمسلمين»^٢ .



١ - مجلة حقيقت اسلام ، لاهور ، يناير ١٩٣٤ .

٢ - المنصر السابق .

الفصل الرابع

﴿ رسالة القاديانية وإنتاجها ﴾

وأخيرا نستعرض هذه الدعاوى المهولة وهذه الحياة الصاخبة، وهذه المكتبة الضخمة^١ وهذه المعركة الحامية بين المسلمين. ماذا كانت رسالتها، وماذا كان إنتاجها وماذا جنتها العالم الاسلامي؟ استعرض العالم الاسلامي في نهاية القرن التاسع عشر المسيحي، لقد زحف إليه الغرب باستعماره الغاشم وثقافته المجردة عن روح الدين، وحضارته المملحة وأخلاقه المادية، فوقع العالم الاسلامي الذي كان قد ضعف في الايمان والعلم والقوة المادية وبدا عليه الاعياء، فريسة للغرب المسلح الفتى، وحدث صراع عنيف بين الدين السماوي الأخير والرسالة الأخيرة، وبين الحضارة المادية المملحة، ووقعت مشاكل سياسية ومدنية وعلمية واجتماعية طريفة تحتاج في حلها إلى إيمان قوى وعلم راسخ، ودراسة عميقة واسعة، وعقل كبير وشيء كثير من الابداع والابتكار والثقة بالنفس وقوة

١ - ألف المرزا نحو أربعة وثمانين كتاباً.

الشخصية وروحانية كبيرة. وكان العالم الاسلامى فى حاجة ملحة الى مجدد ينفخ فيه روح الجهاد، ويحدد فيه العلم، وينشئ فيه الوحدة، ويطبق - بايمانه الراسخ وعقله الكبير العبرى - بين الرسالة الاسلامية الخالدة وبين روح العصر المتجددة من غير أن يفقد الاسلام خلوده ومئاته والدين مبادئه وأحكامه، ومن غير أن يحرم الجيل الاسلامى الجديد حقه من الحياة وحقه من التفكير وحقه من النهضة.

لقد كان العالم الاسلامى فى حاجة الى داعية يوحد العالم الاسلامى وينفخ فيه حياة جديدة ويناھض الغرب الزاحف وحضارته الهاجمة بقوة إيمانه وجدة علمه وشدة جهاده.

وكان العالم الاسلامى يعانى أزمات دينية وخلقية وعلمية، كان من أشد أمراضه الفاتكة وملاحمه الشائنة الشرك السافر، وعبادة القبور والضرائح، والاستغاثة بغير الله، والبدع الفاشية، والخرافة الفاضحة، وكان لكل ذلك فى حاجة شديدة الى مصلح دينى شجاع يحارب الجاهلية فى المجتمع الاسلامى ويدعو الى التوحيد الاسلامى النقي والسنة البيضاء فى قوة ووضوح وجد وصراحة ويصرخ بأعلى صوته «ألا لله الدين الخالص»، صرخة تدوى له السهول والجبال،

وتهوى له معالم الجهل والضلال . وقد فعل ذلك رجال في مختلف أنحاء العالم الاسلامى فى فترات مختلفة ، تقدموا الاسلام خدمة باهرة وأخرجوا — باذن الله — عدداً كبيراً من المنتسبين إلى الاسلام من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وأثمرت دعوتهم المخلصة الجريئة وأنت أكلها فى حينها وبعد حينها وانصلت بفضلهم حركة الإصلاح والتجديد فى تاريخ الاسلام . وكان يعانى أزمة خلقية عنيفة بتأثير الحكومة الأجنبية والحضارة المادية الجديدة فكان فى طريقه إلى التحلل الاجتماعى والتفسيخ الخلقى تطغى عليه عبادة المادة والشهوات والخضوع والاستكانة للقوى القاهر والغنى الفاجر ، والتشبه بالسادة الأجانب وتقليدهم فى شعارهم وفى ما ليس من الفضيلة والحضارة فى شئ ، وكان لذلك فى حاجة عظيمة إلى مصلح اجتماعى حكيم يحارب الاتجاه الخطر الذى يفقد هذه الأمة العظيمة — صاحبة الدعوة والرسالة — شخصيتها وكرامتها وجدارتها للسيادة والوصاية على العالم بل حقها للبقاء والحياة الكريمة .

وكان يعانى أزمة علمية ، كان يسود على كثير من طبقاته الجهل المطبق والامية الغاشية ، وعلى طبقها المثقفة الثقافة العصرية الجهل

بالاسلام وشريعته ونظمه وتاريخه وماضيه، وإمكانات حياته .
 وكانت الفجوة واسعة وعميقة بين الطبقتين المثقفة الثقافة الدينية
 القديمة، والمثقفة الثقافة المدنية، وكانت هذه الفجوة تزداد اتساعا
 وعمقا على مر الأيام فكان في حاجة إلى دعوة تعليمية حكيمة تعنى
 بنشر العلم الصحيح وثقيف الأمة والتقريب بين الطبقتين المتنافستين
 الاسلاميتين وإلى تأسيس دور العلم الكثيرة ودور النشر الكثيرة
 وإلى حركة التأليف والترجمة والنشر الصحيحة، وإلى إنتاج الأدب
 الاسلامى العصرى القوى الصحيح .

وكان من أعظم حاجاته دعوة دينية على منهاج الدعوة
 الاسلامية الاولى تدعوا إلى الإيمان والعمل الصالح والحياة
 الايمانية التى وعد الله عليها النصر والفوز والغلبة على الأعداء
 والسعادة فى الدنيا والآخرة، فما كانت هذه الأمة—منذ بعث الله
 محمداً صلى الله عليه وسلم— فى حاجة إلى دين جديد ولكنها كانت
 فى فترات من تاريخها فى حاجة إلى إيمان جديد يقاوم فتن العصر
 الجديد ومغريات الحياة الجديدة، وقوى الكفر والمادية الجديدة .
 وقد قام لكل حاجة من هذه الحاجات رجال فى العالم الاسلامى
 وساهموا فى التجديد والاصلاح المطلوبين المنشودين مساهمة تذكر

قشكر، وقد قاموا بواجبهم ومثلوا دورهم من غير دعوى ومن غير تحمد ومن غير دعوة إلى إسلام جديد أو نبوة جديدة أو تكفير لعامة المسلمين. فنفعوا من غير ضرر، وخدموا من غير خطر، ولم يزيدوا هذه الأمة اقترافا وتشتتا وفوضى ولم يجاهدوا في غير عدو وفي غير جهاد.

في هذه الساعة العصية التي كان فيها العالم الاسلامي في اضطراب عظيم ظهر المرزا غلام أحمد ووقف في الهند - المركز الذي اشتد فيه هذا الاضطراب للحكم الانجليزي المباشر - وركز فكره وكرس علمه وقلبه على موضوع واحد وعلى قضية واحدة «رفع المسيح ونزوله»، وصرح بأنه أعظم أهدافه وإلغاء الجهاد وتزكية الحكومة الانجليزية وإطرائها والدعوة إلى الاخلاص لها. ومكث طول حياته يحول في هذا الموضوع ويدور حوله ويبدى ويعيد فيه، ولو جردت كتبه ومؤلفاته التي تكوّن هذه المكتبة العظيمة - من هذا البحث ومن هذا النقاش - لبقيت أوراق وصحائف معدودة لا قيمة لها.

ثم قام في هذا العالم الاسلامي - الذي كان فريسة الاختلافات والنزاعات الدينية من قبل وقد كثرت فيه الفرق والطوائف -

فدعا إلى نبوة جديدة وكفر من لا يؤمن بها وأقام بينه وبين المسلمين جداراً سميكاً وسيراً صفيقاً من النبوة الجديدة بقى العالم الاسلامى فى جانب منه وجماعة تعد بالآلاف فى جانب آخر، فزاد المسلمين فى الهند (وباكستان أخيراً) افتراقاً على افتراق وتشتتاً على تشتت، وزاد فى الفرق الاسلامية فرقة تقل منها فى العدد وتزيد عليها فى الضلال والبعد عن المسلمين، والعداء للإسلام. وهكذا زاد فى مشاكل المسلمين مشكلة عظمى، وزاد فى العقد عقدة لا يزال المسلمون منها فى تعب وبلاء.

إنه لم يصف إلى الثروة الاسلامية شيئاً يغتبط به، ويشكره عليه العالم الاسلامى وتاريخ الإصلاح والتجديد. فلم يكن مصلحاً دينياً ولا مصلحاً اجتماعياً، إنه كان داعية شخصياً قد أسس لنفسه وأسرته وخلفائه اماره روحية ارسقراطية مثل آباء آغا خان، ونشر الفوضى الفكرية التى لا تزال مصدر اضطراب وإلحاد وثورة على الدين. إن عدد أولئك الذين اسلبوا واهتدوا من غير المسلمين ضئيل لا يجاوز عدد أصابع يد واحدة، وإنما كانت جهوده وعنايته مصروفة إلى المسلمين وإثارة الشكوك فيهم.

الواقع أنه لو لم تكن تلك الفوضى الفكرية التى كانت الهند

تعانيها بصفة عامة وبنجاب بصفة خاصة بسبب السلطة الانجليزية وانقراض الدولة المسلمة وتبليد المجتمع الاسلامي، وبسبب المتصوفين الجاهل الذين كانوا ينشرون إلهاماتهم ومناماتهم. ولو لا جهل الجيل الجديد بالاسلام ولو لا تبسّي الحكومة الانجليزية لهذه الدعوة واحتضانها وحمايتها وتشجيعها، لو لا هذه العوامل كلها، لما كان لهذه الدعوة الخرافية - المؤسسة على الإلهامات والمنامات والتأويلات - وهذه الحركة الدخيلة الهزيلة مجال ومتسع في المجتمع الاسلامي، ولكنها عقوبة من الله على الجهل والعبودية والكفر بنعمة الاسلام الصحيح الخالد والنبوة المحمدية الخاتمة الاخيرة.

ونختم الكتاب بكلمة مقتبسة من احدى محاضراتنا التي ألقيناها في الجامعة السورية بدمشق ونحن نتكلم عن الحركة الباطنية ومصيرها في التاريخ:

« ويبدو لي أيها السادة، كلما قرأت تاريخ الباطنية وإخوان الصفا وتاريخ البهائية والقاديانية أن أصحابها قرأوا تاريخ الاسلام وتاريخ الرسالة المحمدية والدعوة الاسلامية فرأوا رجلاً يقوم في جزيرة العرب وحيداً فقيراً أعزل ويدعو إلى عقيدة وشريعة، فلا يلبث أن يكسّون أمة ويكون دولة ويكون حضارة، ويرغم التاريخ

على أن ينحوا نحواً جديداً، فغرت هؤلاء نفوسهم الطامحة وأعزمتهم بأن يجربوا هذه التجربة وعندهم الذكاء والدهاء وقوة التنظيم والعلوم والاتباع عسى أن يكونوا أمة ودولة وحضارة. ولما ذا لا تثمر الجهود، ولما ذا لا تتكرر المعجزة؟ والفطرة البشرية لا تزال هي الفطرة ولا يزال الناس أشباها. لقد رأى هؤلاء الطامحون هذا الرجل الوحيد الفقير الأعزل ولم يروا ما يعتز به من رسالة ونبوة وشخصية وسيرة، ولم يروا تلك الإرادة الغلابة التي قضت باتصاره وظهوره وخلوده، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وقد أثمرت جهودهم موقناً فكان لهم أتباع وأشباع، وقد استطاع بعضهم — كالباطنية — أن يقيم دولة، وقد ازدهرت هذه الدولة وبقيت ما بقيت تنظيماتهم وحيلهم واستدراجاتهم، وما لبثت أن تبخرت وتلاشت وبقيت دياناتهم في نطاق ضيق لا تقدم ولا تؤخر في العالم. أما الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فلا يزال القوة الروحية الكبرى ولا يزال صاحب أمة، ودول وحضارة، وأما شمس النبوة المحمدية فلا تزال مشرقة لم تنكسف ولم تحتجب يوماً واحداً.

المصادر القاديانية

(حرصنا على أن نذكر مع أسماء الكتب السنين التي طبعت فيها والطبعات
ولكننا وجدنا بعض المطبوعات لم يذكر فيها السنة التي طبعت فيها
وبيان الطبعة)

- ١ - سيرة المهدي، جزء ١-٢، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٥ ع .
- سيرة المهدي، الجزء الثالث، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩ ع .
- ٢ - كتاب البرية، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٢
- ٣ - الأربعين، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٠
- ٤ - حقيقة الوحي، المطبوع سنة ١٩٠٧
- ٥ - تحفه شاهرزاده ويلز، (في اللغة الانجليزية) الطبعة الثانية
سنة ١٩٢٢
- ٦ - براهين أحمدية، الطبعة الرابعة سنة ١٩٠٧
- ٧ - مكتوبات أحمدية، الجزء الخامس
- ٨ - كشف الاختلاف، فرائر سنة ١٩٢٠، مطبع ضياء الاسلام،
قاديان .
- ٩ - تبليغ رسالت .
- ١٠ - حياة ناصر، للنواب ناصر الدهلوي، صهر المرزا غلام أحمد

- ١١- مرقاة اليقين في حياة نور الدين ، ملتزم الطبع والنشر:
احديه أنجمن اشاعت اسلام ، احديه بلدنگ ، لاهور
- ١٢- كلبه الفصل .
- ١٣- تشحيد الاذهان .
- ١٤- صحيفه الفضل ، الرقم ٢٣٦٩ ، سنة ١٩٢٣ ع
- ١٥- صحيفه پيغام صلح ، المجلد الرابع الرقم ١١٤
- ١٦- تفسير محمد على اللاهورى
- ١٧- نزول مسيح ، الطبعة الأولى سنة ١٩٠٩
- ١٨- معيار الاخبار
- ١٩- سرمه چشم آريه ، الطبعة الأولى سنة ١٨٨٦ الرقم ٤٦٢
- ٢٠- مكتوبات أحديه ، الجزء الثالث
- ٢١- Our Indian Musalmans
- ٢٢- فتح إسلام ، سنة ١٨٩٤ ، الرقم ٢٢٧
- ٢٣- إزالة الآوهام ، الطبعة الثانية سنة ١٩٠٢
- ٢٤- توضيح مرام ، الطبعة الثانية سنة ١٨٩٧
- ٢٥- خطبة الهاميه ، المطبوع سنة ١٩٠٢
- ٢٦- الرسالة العربية ، ملحقة بدو آئنه كالات اسلام ، الطبعة الثانية
يوليو سنة ١٩٢٤

- ٢٧- حقيقة النبوة، سنة ١٩١٥
- ٢٨- تحفة الندوة، سنة ١٩٠٢، مطبع ضياء الاسلام قاديان .
- ٢٩- ايك غلطى كا ازاله، ماحق حقيقة النبوة
- ٣٠- آئنه كالات اسلام او دافع الوسوس الطبعة الثانية، ١٩٢٤
- ٣١- انجم آتهم، سنة ١٨٩٧
- ٣٢- نجم الهدى
- ٣٣- اعجاز احمدى، سنة ١٩٠٢
- ٣٤- آسمانى فيصله، ٣٠ دسمبر سنة ١٩١٧، ربيع الاول سنة ١٣٣٦ مطبع ضياء الاسلام، قاديان .
- ٣٥- الحكم
- ٣٦- تبليغ رسالت
- ٣٧- ربويو آف ريليجنز
- ٣٨- در ثمين
- ٣٩- انوار خلافت، سنة ١٩١٦
- ٤٠- رد تكفير اهل قبله، سنة ١٩٢٦، مقبول عام پريس لاهور
- ٤١- بيان القرآن (محمد على) الجزء الاول كريمى پريس